CHARACTERISTICS OF INDIAN CONSTITUTION AND ENVIRONMENT STUDIES

STUDY MATERIAL

SECOND SEMESTER
COMPLEMENTARY COURSE : AFU2C04

For

BA AFZAL-UL-ULAMA
(2017 ADMISSION ONWARDS)

UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION
Calicut University P.O, Malappuram, Kerala, India 673635

27A

UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION

STUDY MATERIAL

SECOND SEMESTER

BA AFZAL-UL-ULAMA

(2017 ADMISSION ONWARDS)

COMPLEMENTARY COURSE:
AFU2C04 : CHARACTERISTICS OF INDIAN CONSTITUTION AND ENVIRONMENT STUDIES

Prepared & Scruitinized by:

Dr. Muhammed Abid. U.P
Assistant Professor,
P.G & Research Department of Arabic,
Farook College, Kozhikode-673632.

PART A

CHARACTERISTICS OF INDIAN CONSTITUTION

UNIT 1

إستقلال الهند ـ الهند الحديثة ـ استعمار الإنجليز للهند ـ ظهور النزعة الوطنية مهاتما غاندي في الحركة الوطنية ـ لجنة صياغة الدستور ـ رئيسها ـ أعضاء اللجنة الجمهورية الهندية

تعد الهند مهد حضارة وادي السند ومنطقة طريق التجارة التاريخية والعديد من الامبراطوريات، وكانت شبه القارة الهندية معروفة في الشرق والغرب بثرواتها الطبيعية كالتوابل والمنتجات الصناعية كالسيوف وإنجازاتها الثقافية كمختلف الفنون والبضائع التجارية لفترة كبيرة من تاريخها الطويل وقد نشأت على الأراضي الهندية أربعة أديان رئيسية هي الهندوسية والبوذية والجاينية والسيخية، في حين أن اليهودية ، والمسيحية والإسلام وصلت إليها في الألفية الأولى الميلادية وشكلت هذه الديانات والثقافات التنوع الثقافي للمنطقة.

شهدت البلاد لنمو الوطنية القوية وصارت حركة شائعة مقبولة لدى كافة الناس، وأثر في ذلك كثير من العناصر وأهمها قدوم غاندي إلى المجال وظل زعيم الحركة الاستقلالية الغير المتنازع فيه حتى حقق الوطن ذلك في ١٩٤٧.

في ١٤ أغسطس ١٩٤٧ اجتمعت الجمعية التأسيسية للهند، التي انتخبتها المجالس التشريعية للولايات وتألفت من ٢٧٨ عضوا ب١٥ امرأة وتحولت فيما بعد إلى برلمان مؤقت، بموجب اقتراحات خطة بعثة مجلس الوزراء (Cabinet Mission Plan) في ١٩٤٦ وقدمت اقتراحات لتشكيل لجنات مختلفة، مثل لجنة الحقوق الإنسانية، ولجنة الحقوق الأساسية ولجنة القوات الأساسية ولجنة صياغة الدستور. وفي ٢٩ أغسطس عينت الجمعية التأسيسية لجنة لصياغة الدستور تحت رئاسة الدكتور بي. آر.أمبيدكر(Dr. B.R Ambedkar) بستة أعضاء أخرى مع مستشار دستوري وهو بيغال نراسمه راؤ (Benegal Narasing Rao)

كنيالال منيك لال منشي (Kanayyalal Maneklal Munshi) وألادي كرشنا سوامي أير (Alladi Krishnaswami Iyer) وأن. غوبال سوامي أينكار (N. Gopalaswami Iyyenkar) وبي. أل. متل(B.L. Mittel) وأم دي. سعد الله (M.D. Saadulla) ودي.بي. كهيتان (D.P Khaitan) كانوا أعضاء فى لجنة صياغة الدستور.

إستقلال الهند

لمحة عامة عن الهند

الهند سابع أكبر دولة من حيث المساحة في العالم حيث تغطي مساحة شاسعة تبلغ ٣٢٨٧٢٦٣ كم مربع تؤدي إلى تسميتها شبه القارة الهندية، وثاني أكبر دولة من حيث عدد السكان، يحدها المحيط الهندي من الجنوب، وبحر العرب من الغرب، وخليج البنغال من الشرق، وتقع باكستان في جوارها من الغرب وجمهورية الصين الشعبية، ونيبال، وبوتان من الشمال، وبنغلاديش وميانمار من الشرق. وتشكل جبال الهماليا التي تعد أعلى جبال العالم حدودها الشمالية، وهي تمتد بين خطي عرض (Latitude) ٨.٤ و ٣٧.٦ درجة شمالا، وبين خطي طول (Longitude) ٦٨.٧ درجة و ٩٧.٢٥ درجة شرقا، وتمتد من الشمال إلى الجنوب بطول ٣٢١٤ كم ومن الشرق إلى الغرب بطول ٢٩٣٣ كم. ويبلغ الآن عدد سكان الهند ١٢١٠٥٦٩٥٧٣ نسمة، ٦٢٣١٢١٨٤٣ رجلا و ٥٨٧٤٤٧٧٣٠ امرأة حسب التعداد الأخير الذي عقد في مارس ٢٠١١. وتنقسم جمهورية الهند إلى أربعة أقاليم رئيسية ، هي جبال الهماليا العظيمة وسهل جانجتيك (Gangetic) ومناطق الصحارى وشبه الجزيرة الجنوبية. ولها من الحدود البرية ١٥٢٠٠ كم ومن الخط الساحلي ٧٥١٦٠٥ كم.

تعد الهند مهد حضارة وادي السند ومنطقة طريق التجارة التاريخية والعديد من الامبراطوريات، وكانت شبه القارة الهندية معروفة في الشرق والغرب بثرواتها الطبيعية كالتوابل والمنتجات الصناعية كالسيوف وإنجازاتها الثقافية كمختلف الفنون والبضائع التجارية لفترة كبيرة من تاريخها الطويل وقد نشأت على الأراضي الهندية أربعة أديان رئيسية هي الهندوسية والبوذية والجاينية والسيخية، في حين أن اليهودية ، والمسيحية والإسلام وصلت إليها في الألفية الأولى الميلادية وشكلت هذه الديانات والثقافات التنوع الثقافي للمنطقة.

الهند الحديثة

يعتبر بداية تاريخ الهند الحديثة من أوائل الدولة المغلوية التي أسسها الإمبراطور ظهير الدين محمد بابر، أحد أحفاد تيمور لنك، بعد أن هزم اللوديين في قيادة إبراهيم اللودي ملكهم، في معركة بانيبت (Panipat) في ١٥٢٦ وجعل عاصمته من آكرا (Agra). وتولى ابنه همايون مقاليد الحكم بعد وفاته في ١٥٣٠ واستمر في الملك حتى ١٥٤٠ حيث فشل في مواجهة شيرشاه سوري ومن ١٥٥٥، حين استطاع أن يستدرك ملكه بمساعدة الصفويين بإيران إلى ١٥٥٦ وانتهى حكمه في ذلك العام حيث فاجأه الموت، حين سقط من السلم مسرعا للاستجابة للمؤذن. وبعد همايون تقلد عرش البلاد ولده جلال الدين أكبر في سنه الثالث عشر، واشتغل في إدارة شؤون بلاده بمساعدة قائده بهرام خان، وحاول تعزيز جوانب ملكه وخاض حروبا شتى وأخضع ما بقي من نواحي الهند وأعاد تنظيم المملكة وأجرى إصلاحات كثيرة وأتقن قوائم الإدارة .

وفي أواخر أيامه منح بريطانيا امتيازا يقضي بإنشاء وكالة تجارية في سورت (Surat) على الساحل الغربي من ولاية غجرات (Gujarat)، تابعة لشركة الهند الشرقية (East India Company) لاحقا. وبعد وفاته أصبح ولده جهانكير إمبراطورا على الهند، وتميزت سياسته باللين والاتساع وتشجيع الآداب والفنون. ثم تولى الحكم ابنه شاه جهان الذي بلغت الإمبراطورية في عهده أوج اتساعها وشهرتها وشهدت البلاد ازدهارا ملحوظا في مجال الآداب والفنون خصوصا في الفنون العمرانية. ومن آثاره العمرانية مقبرة تاج محل في آكرا التي شيدها تذكارا لزوجته ممتاز محل المدفونة فيها.

وفي آخر مدته نشأ خلاف بين أبنائه الأربعة وخاضوا صراعات وانتهت بغلبة أورنك زيب وأصبح إمبراطورا على الهند. ومكث في السلطنة حوالي خمسين عاما. وكان ذلك عهد ازدياد أطماع الأوروبيين في خيرات الشرق وثروات الهند وخاصة بعدما اكتشف البرتغاليون رأس الرجاء الصالح (Cape of Good Hope) عام ١٤٩٨، وتابعوا تقدمهم حتى وصلوا الهند بعد سنة واستولوا على "غووا" (Goa) ، ونشط الهولنديون كما نشط البرتغاليون من قبل ووقع بينهم صراعات وتحرك الفرنسيون والإسبانيون نحو الشرق، ورأت إنجلترا ما وصلوا إليه من الغنى والثراء وخيرات الشرق وثروات الهند فسال لعابهم وأسرعوا بدورهم باستصدار مرسوم ملكي عام ١٦٠٠ م يقضي بتكوين شركة تجارية إنجليزية (English East India Company) في بلاد الهند، وكان وراء ذلك دافعان: سياسي وذلك كسر شوكة سائر القوات الأوربية والاستيلاء على الهند وخيراتها وتجاري : وهو الاحتكار على التجارة الهندية .

استعمار الإنجليز للهند

عزم إنجلترا على استعمار الهند ولذلك خططوا وأعدوا مشاريع غامضة واحتالوا وفرقوا بين الحكام في الهند وأضرموا نيران الخلاف بينهم وتقربوا إلى بعض الأمراء والملوك ، منهم المغول وغيرهم بالهدايا وغيرها ومال إليهم بعضهم حيث كانوا متضايقين من نفوذ البرتغاليين المتزايد، وسلوكهم الخشن في معاملاتهم للملوك فتقبلوا الإنجليز بقبول حسن، واستمالوا إليهم بعض الناس كالمسيحية باسم الدين، لأن الإنجليز كانوا نصرانيين، وبعض الناس بعروض مغرية كالمناصب العليا في الحكومة واستطاعوا على تأسيس مراكز كثيرة في أغلب المدن الهندية. وكان حراس من الهنود يقومون بحراسة هذه المراكز، ثم تدرجوا فجعلوا الحراس من أبناء جنسهم، وأخذوا يسلحونهم بحجة الحراسة، ومن هنا نبت الجيش الإنجليزي في الهند ونشأ وتزايد ثم عززوا هذه الجيوش بقوات مستوردة من بريطانيا.

وفي عام ١٦٨٦ م أقدمت شركة الهند الشرقية الإنجليزية على بناء أكبر مستعمر ومركز تجاري في مدينة عرفت فيما بعد بكلكتا بالبنغال، وذلك بعد طلبهم الصلح من أورنك زيب بعد أن هزمهم، وانطلقت منها الجيوش الإنجليزي لاحتلال شبه القارة الهندية، وقد بدأوا مخططهم برغبتهم في القضاء على ما تبقى من نفوذ الدولة المغولية ، ومن أجل ذلك خاضوا غمار معارك طاحنة كحرب بلاسي وبكسر (Plassy and Buxar) وغيرهما وحروب دامية أخرى للقضاء على ما بقي من المقاومة الهندية ، وكان في

مقدمتها حاكم ميسور حيدر علي وابنه السلطان فتح علي خان المعروف ب"تيبو سلطان" (Tippu Sultan) الذي هزمه وقتله الإنجليز غدرا وغيلة في ١٧٩٩ بحرب ميسور الرابعة بمساعدة من نظام حيدرا باد والمرهتة (Maratha).

وبذلك أصبح لشركة الهند الشرقية الإنجليزية الكلمة الكبرى على القارة الهندية العظمى حتى أن انتقل حكم الهند من شركة الهند الشرقية الإنجليزية إلى التاج البريطاني في ١٨٥٧. وفي هذه الفترة عملت الشركة بسياستهم الظالمة في هدم التراث الهندي في التعليم والصناعة والثقافة والزراعة والأعمال وغيرها من المجالات وضيقوا أبناء الأمة الهندية بأنواع الإيذاء والقوانين المختلفة وكان ذلك بداية للاستبداد الإنجليزي الغاشم واستمرت سياسة الإستغلال وأدت إلى الأحداث الفاضحة وتواصلت إجرائات غرورهم لأبناء الهند وفظاظتهم تجاه المسلمين وغيرهم من كافة الشعوب فانبثقت فكرة الحرية واندلعت ثورات شتى كالثورة العظمى في ١٨٥٧ م .

أسباب ثورة ١٨٥٧

اندلعت الثورة في ١٨٥٧ لأسباب مختلفة – اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية وعسكرية. وأما الجانب الإقتصادي فكان أهم الأسباب، حيث كان استغلال بريطانيا المالي للهند شاملا مستوعبا وهادما للتراث الاقتصادي ولكافة المجالات – التجارية والزراعية والحرفية والصناعية وغيرها. وتجارة الهند التقليدية وصناعتها خصوصا صناعة الغزل والنسيج خربت، وصارت الهند مجرد سوق لمنتجات البريطانية الآلية . ومع ذلك، فإن الموظفين الإنجليز للشركة ضيقوا الفلاحين بفرض الضرائب الثقيلة والرشوة الفاضحة وانحيازهم بجانب الأثرياء المستغلين وملاك الأرض والمزارع. والناحية الاجتماعية من أسباب الثورة كانت عميقة، حتى سمى بعض المؤرخين المتعصبين ثورة ١٨٥٧ ثورة الأسود ضد الأبيض، حيث كانت التفرقة بين الإنجليز والهنود عميقا، وقد كان المحتلون ينظرون إلى أبناء الشعب الهندي كحيوانات أو أدنى منها وغير موثوق بهم ، وغير مؤهلين لتعليم أولاد الأوربيين في المدارس والكليات وللحكم في القضايا التي كان الأوربيون بإحدى جانبيها . واشتد كراهية عامة الهنود للإنجليز حين أهانوا ثقافتهم وأصابوا من مشاعرهم الدينية وعزم الملوك المحليون لحرب الإنجليز حين ضموا مناطقهم إلى الدولة البريطانية بخلعهم عن السلطة وإنكار مناصبهم.

وفي الثورة كان المسلمون والهندوسيون يتأزرون ويتعاضدون لتحرير وطنهم المحبوب من استبداد الغرباء الظالمين وقاوموا المستعمرين المستغلين وكافحوا المحتلين المحتالين الجائرين ولكن فشلت الثورة لأسباب أهمها عدم القيادة الراشدة التي تأخذ بزمامها نحو استقلال البلاد. وعمل المستعمرون فيما بعد ليفرقوا بين الهندوسيين والمسلمين بالإشاعات ونشر التهم والأكاذيب.

أهم نتائج الثورة

١ انتهى الحكم المغولي الذي سيطر على الهند منذ ثلاثة قرون حيث كان بهادور شاه الثاني، آخر ملوك مغول رئيسا لهذه الثورة، قبضه الإنجليز وسجنوه وقتلوه فيما بعد.

٢ تولى التاج البريطاني الحكم مباشرا وألغت الملكة فكتوريا (Queen Victoria) مختلف مجالس الإدارة التي عينتها الشركة .

٣ غيرت السياسة العسكرية، حيث قررت بريطانيا لحجز المناصب العليا في العسكر للأوربيين فقط، ولزيادة الجنود الأوربيين وتبعييد الجنديين من الشعب خوفا من مشاطرة المشاعر بينهم.

٤ وعدت الملكة أن الإنجليز تعظم حقوق الهنود ومشاعرهم وتقر منازل ملوكهم.

٥ إجازة قانون الخدمة المدنية الهندية (India Civil Service Act) كانت من نتائج الثورة .

٦ إجازة قانون حكومة الهند الحسني (Better Government of India Act 1858) أيضا كانت منها.

ظهور النزعة الوطنية

عمل المستعمرون بعد ثورة ١٨٥٧ بانتباه بالغ وتخطيط شامل حتى صار استغلالهم مستغرقا لجميع مجالات الحياة الهندية والقمع عاما وإلقاء القبض على الأبرياء شائعا وملؤوا السجون حتى بالأطفال والعجائز ففشت الاضطرابات والانقلابات وهددوا الشعوب الهندية بالقتل الجماعي والإيذاء الشامل وانشغلوا في تهريب الثروات الثمينة إلى إنجلترا مخططا مشروعا بغير حياء ولا حساب، وكانت لهذه السياسة الظالمة ردات الفعل الظاهرة في قلوب الشعوب الهندية، وتواصلت حتى ظهرت الأفكار الوطنية وتبلورت النزعات القومية وأدت إلى تشكل حزب المؤتمر الوطني الهندي (Indian National Congress) في ديسمبر سنة ١٨٨٥ م بمؤتمر عقده أ. أو.هيوم (A.O. Hume) وترأسه و.سي. بانرجي W.C. (Bannerjee) وحضره عدد من الزعماء والمحامين كفروس شاه مهتاه (Pheroseshah Mehta) وداداباائي نوروجي (Dadabhai Naoroji) وكي. تي. تلانغ (K.T.Talang) وغيرهم فمرت الحركة الوطنية بثلاثة أطوار رئيسية: الأول: امتد من سنة ١٨٨٥ واستمر إلى سنة ١٩٠٠، وكان يهدف إلى إصلاح النظام الاستعماري البريطاني.

والثاني: امتد من سنة ١٩٠٠ واستمر إلى سنة ١٩١٤، وفيه طالب الوطنيون الحكام الإنجليز بتنفيذ الحكم الذاتي.

والثالث: امتد من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٤٧، وفيه ناضل أبناء الشعوب الهندية بكل ما في وسعهم للحصول على الاستقلال التام، حين اقتنعوا أن الإنكليز إنما يحكمون الوطن للاستغلال فقط وذلك لا يتجاوز مصالحهم وأي حكم أو عمل إطار الحكومة أو الاستعمار لا يكون إلا لصالحهم والقمع والتهريب وسائلهم والجور والاعتداء طريقهم والديمقراطية والحقوق الإنسانية ليست إلا صرخاتهم فقط، لا يريدون أن ينفذوها على رعاياهم فانتهت الأمة الهندية بأجمعهم صغيرا وكبيرا ذكرا وأنثى، غنيا وفقيرا، فوقعت ثورات ومظاهرات ضد الاحتلال وقامت احتجاجات ضد المستعمرين، وكانت في أعقاب الحرب العالمية الأولى، فقمعوها بمنتهى الوحشية، وواجهوا تلك المناضلات الشعبية بإطلاق النار على الأبرياء والقتل الجماعي فوقعت مذابح وأفظعها جالين ولا باغ (Jallian wala bagh) بامرتسار بولاية

بنجاب، وذلك في إبريل ١٣ سنة ١٩١٩، حين اجتمع الناس لمعرض بيشاكهي (Baisakhi Fair) وبعضهم للاحتجاج على القوانين الغاشمة التي فرضتها الحكومة الاستعمارية لقمع الشعب وكان الاجتماع في ميدان لم يكن له إلا باب واحد فدخل عليهم القائد دير (General Dyer) وأغلق عليهم الباب وفتح النار بغير تفرقة وقتل ست مائة وجرح الآلاف، منهم الأطفال والنساء والعجائز، حيث اجتمع أكثرهم للمعرض، وساق ألوف الرجال إلى السجون. وبهذه الواقعة اقتنعت القلوب خطورة الحالة وأهمية الاستقلال من الظالمين، فثار الناس للوطن من كل ناحية منه بكل ما كان بيدهم.

مهاتما غاندي في الحركة الوطنية

شهدت البلاد لنمو الوطنية القوية وصارت حركة شائعة مقبولة لدى كافة الناس، وأثر في ذلك كثير من العناصر وأهمها قدوم غاندي إلى المجال وظل زعيم الحركة الاستقلالية الغير المتنازع فيه حتى حقق الوطن ذلك في ١٩٤٧.

ولد موهنداس كرمشاند غاندي الملقب ب"مهاتما غاندي" في الثاني من أكتوبر/تشرين الأول ١٨٦٩ في بور بندر (Porbandar) بمقاطعة غوجارات الهندية من عائلة محافظة لها باع طويل في العمل السياسي. وقضى طفولة عادية ثم تزوج وهو في الثالث عشر من عمره بحسب التقاليد المحلية. سافر غاندي إلى بريطانيا عام ١٨٨٨ لدراسة القانون، وفي عام ١٨٩١عاد منها إلى الهند بعد أن حصل على إجازة جامعية تخوله ممارسة مهنة المحاماة، وغادر الهند إلى جنوب افريقيا للمحاماة، ولكن هناك صار ثائرا على الظلم والتمييز العنصري الفاضح حين رأى أبشع صورها التي تعرض لها الهنود وغيرهم في المستعمرات وزعيما شهيرا لهذه المقاومة، وبطلا مطاعا للكفاح ضد التفرقة العنصرية إلى ١٩١٤. وعاد إلى الهند وأسس في ١٩١٦ "ستياغرها آشرم" (Satyagraha Ashram)، معهد الاحتجاج السلمي، على ساحل النهر سبرمتي (Sabarmati) قريب من أحمداباد بولاية غجرات، وهناك تلقاه أصدقائه وأصحابه للتدريب في أفكار الحقيقة واللا عنف.

نشر غاندي ما عرف في عالم السياسة ب"المقاومة السلمية" أو فلسفة اللا عنف، وهي مجموعة من المبادئ تقوم على أسس دينية وسياسية واقتصادية في آن واحد ملخصها الشجاعة والحقيقة واللا عنف، وتهدف إلى إلحاق الهزيمة بالمحتل عن طريق الوعي الكامل والعميق بالخطر المحدق وتكوين قوة قادرة على مواجهة هذا الخطر باللا عنف، ولم يكن العالم يعرف هذه الأساليب الرائعة من قبل، التي جذبت أحرار العالم غير قليل.

كانت بريطانيا وعدت رعاياها بإصلاحات كافية بعد انتهاء الحرب العامة، ولكن إنما وقع عكس ذلك، حيث كانت أحكام إصلاحات "مونتيغ-جمسفورد" (Montegu-Chelmsford Reforms) التي أعلنتها الحكومة كما وعدتها، غير مرضية للشعب ولم تكن منسجمة مع مبادئ الحكم الذاتي التي طالما طلبه الشعب الهندي. ومع ذلك كانت الحكومة المحتلة تتخذ إجراءات شديدة لقمع الحركات الاستقلالية،

ولذلك أجازوا قانونا جديدا يسمى "رولت آكت" (Rowlatt Act) في فبراير ١٩١٩. وفي الحقيقة كان ذلك القانون مروعا ومهددا للأمة الهندية التي كانت تنتظر إصلاحات ديمقراطية وإجراءات شعبية ومهينا للهنود الذين كانوا يفضلون بريطانيا في الحرب العامة الأولى، حيث كان غاندي نفسه يطلب الهنديين لمساعدة الإنجليز في الحرب. فطلب غاندي من الشعب للاحتجاج في الأرياف وعدم الإنقياذ لهذا القانون الغاشم وحدثت الاحتجاجات والإضطرابات التي عمت البلاد. وحاولت الحكومة قمع الاحتجاجات فأطلقوا النار على الناس وألقوا القبض على المحتجين وملؤوا السجون وهددوا الشعب واعتقلوا الزعماء والأحرار. وكان بنجاب من مظاهر الاحتجاجات الشعبية ضد "رولت آكت" ووقعت هناك حوادث كانت تعد أهم أبواب النضال الاستقلالي فيما بعد كحادثة أمرتسار.

وكارثة أمرتسار (Amritsar) المعروفة بحادثة "جالين والا باغ" فتح أعين الناس وأدهش مهاتما غاندي، الذي ظل يكافح ضد أعتى قوة في التارخي بإيمانه الثابت ونكرانه لذاته وقوته الأخلاقية التي غيرت الأفكار السياسية السائدة، فتسلم قيادة الحركة الوطنية ، وذلك كان في سنة ١٩٢٠، فالتف الناس حوله وتحمسوا لرئاسته واستلموا لقيادته، وأعلن غاندي خطة اللاتعاون(Non cooperation) مع الإنجليز وخطة العصيان المدني (Civil Disobedience) حتى يرضخوا ويعيدوا إلى الهند حقها، فدارت سياسته حول:

أ- عدم التعاون مع البريطانين ومقاطعة بضائعهم،

ب- مقاومة الإنكليز عبر طرق سلمية لعدم إرهاق الأرواح في كلا الجانبين.

ت- مبدأ لا عنف، حتى ولو اعتدى الأعداء على النساء والأطفال والأبرياء أو ظلموا أو سجنوا الأحرار السذج.

إلى الإستقلال

سياسة غاندي وكفاحه وثوراته، وإن لم تجذب الاحرار الشباب خصوصا المتطرفين منهم ك"سباش تشندرا بوس" (Subhash Chandra Bose) قد أرهقت البريطانيين، كالثورة الملحية (Salt Satyagraha)، وذلك قرر حزب المؤتمر الهندي، بزعامة غاندي، في فبراير ١٩٣٠، مواصلة استراتيجية العصيان المدني للحصول على الحكم الذاتي عبر رفض دفع ضريبة الملح التي فرضها البريطانيون، والسير نحو مصنع الملح بداندي (Dandy)، تأكيدا لرفض احتكار البريطانيين صناعة الملح في البلاد وحق الهنود في تصنيع الملح بأنفسهم، بل واستعادة السيطرة على كل الصناعات الوطنية التي تحتكرها البريطانيون، فدعي مهاتما غاندي الشعب إلى مسيرة الملح(Dandy March)، التي استغرقت مسيرة أربعة وعشرون يوما، فصارت ثورة عظيمة حققت النصر في ذلك لأبناء الوطن وأجبرت المحتلين على وضع دستور للهند سنة ١٩٣٥، ولكن هذا لم يرض طموح الهنود عموما ولم يثنهم عن المطالبة بالاستقلال التام، فاستمر قدماءنا يلحون على مطلبهم الاستقلال التام، فوقعت ثورة ارحلوا عن الهند(Quit India) في ١٩٤٢، وقمع الإنجليز الثورة وسجنوا زعماءها، واستمر الشعب الهندي في المظاهرات للاستقلال والاحتجاجات

على الاعتقالات إلى أن انقضت الحرب العالمية الثانية. وفي ظل الظروف التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية أخذت الحكومة البريطانية في لندن تفكر عمليا في الانسحاب من الهند. فأرسلت إلى الهند سنة ١٩٤٦ وفدا رفيع المستوى لدراسة كيفية نقل السلطات إلى الهنود بعد تنفيذ مبدأ تقسيم شبه القارة الهندية إلى الهند وباكستان. وتسارعت هذه العملية حين انتقلت السلطة في لندن من حزب المحافظين (Conservative party) إلى حزب العمال(Labour Party).

وفي منتصف أغسطس أسفر كفاح أبناء الهند، وقد ضحى هؤلاء النساء والرجال العظام بكل غال وثمين في أيامهم من أجل مستقبل مشرق، من أجل الاستقلال، الذي امتاز بحركة المقاومة السلمية واسعة النطاق، عن استقلال وطنهم العريق المحبوب من الأمبراطورية الاستعمارية البريطانية التي لم تكن الشمس تغرب عنها، وإبان قيام دولتين الهند وباكستان قامت الفتنة بين الهندوس والمسلمين وذهب ضحيتها أكثر من مليون نسمة من كلا الطرفين، ونجم عنها هجرة الهندوس إلى الجنوب وهجرة المسلمين إلى الشمال.

لجنة صياغة الدستور

في ١٤ أغسطس ١٩٤٧ اجتمعت الجمعية التأسيسية للهند، التي انتخبتها المجالس التشريعية للولايات وتألفت من ٢٧٨ عضوا ب١٥ امرأة وتحولت فيما بعد إلى برلمان مؤقت، بموجب اقتراحات خطة بعثة مجلس الوزراء (Cabinet Mission Plan) في ١٩٤٦ وقدمت اقتراحات لتشكيل لجنات مختلفة، مثل لجنة الحقوق الإنسانية، ولجنة الحقوق الأساسية ولجنة القوات الأساسية ولجنة صياغة الدستور. وفي ٢٩ أغسطس عينت الجمعية التأسيسية لجنة لصياغة الدستور تحت رئاسة الدكتور بي. آر.أمبيدكر(Dr. B.R Ambedkar) بستة أعضاء أخرى مع مستشار دستوري وهو بيغال نراسمه راؤ (Benegal Narasing Rao)

رئيسها

الدكتور بي. آر. أمبيدكر(وكان يدعى بابا صاحب أمبيدكار) (Dr. B. R. Ambedkar)

ولد في ١٤ إبريل ١٨٩١ في مديابراديش رابع عشر من أولاد بهيما بائي سكبال ورامجي (Bhimabai Sakbal and Ramji) وكان أبوه موظفا في الجيش الهندي في مدهيابرديش، وبعد تقاعد والده انتقل بأسرته إلى ستارا (Sitara) وتوفيت أمه بعد هذا بقليل، وتزوج أبوه ثانيا وانتقلوا إلى بومبائي، وهناك أتم دراسته الثانوية عام ١٩٠٨م وتوفي أبوه في بومبائي في عام ١٩١٢م.

وكان أبوه من أسرة منبوذة من طبقة "مهر"، فصار ضحية للتعصب الطبقي العنيف وواجه تفرقة شديدة من أعضاء الطبقات العليا في شتى مجالات حياته، وصاده هذه التفرقة العنصرية حتى في مدرسته الجندية التي كانت تحت الإدارة الإنجليزية وفي عام ١٩٠٨ أتيح لأمبيدكر الفرصة لمتابعة

دراسته في كلية "ألفنستن" (Elephantine College) في بومباي. وفي عام ١٩١٢ نال شهادته البكالورية من جامعة بومبائي، وعزم على متابعة دراسته في المملكة المتحدة. ولما رجع إلى الهند عين أمين الدفاع للملك برودا (Baroda King)، ولكن، في هذا المنصب أيضا، تعرف لشدة الإهانة والإذلال من موظفي الطبقة العليا باسم النبذة. ثم ذهب إلى لندن وإلى ألمانيا للدراسات العليا.

رجع إلى الهند حين أتم دراساته ونال الدكتوراه من جامعة كولمبيا(Columbia) وعزم على المناضلة ضد الطبقية الفاضحة، واشتغل في تنبيه أمته وتشجيعهم على التعليم وإعدادهم على النضال لحقوقهم. وحين اقتنع أن العدالة الاجتماعية لا تتحقق إذا استمر في الهندوكية اعتنق هو وأصحابه الذين يبلغون خمس مأة ألف ديانة البوذية في اجتماع عام عقده في ١٤ أكتوبر ١٩٥٦، ولم يختر الإسلام والمسيحية لأنهما كانا "غريبين". وتوفي في ٦ ديسمبر، ١٩٥٦ في مسكنه بدلهي.

أعضاء اللجنة

كنيالال منيك لال منشي (Kanayyalal Maneklal Munshi) وألادي كرشنا سوامي أير (Alladi Krishnaswami Iyer) وأن. غوبال سوامي أينكار (N. Gopalaswami Iyyenkar) وبي. أل. متل(B.L. Mittel) وأم دي. سعد الله (M.D. Saadulla) ودي.بي. كهيتان (D.P Khaitan) كانوا أعضاء في لجنة صياغة الدستور.

الجمهورية الهندية

عندما تمت المناقشات حول مواد الدستور وبنوده ومحتوياته واستحسنتها الجمعية التأسيسية أعلنت الهند جمهورية ديمقراطية مستقلة بموجب الدستور الذي دخل حيز التنفيذ في ٢٦يناير كانون الثاني على هذه الأرض العريقة ذات التراث الثقافي الضخم والتنوع الهائل المعجب في اللغات والأجناس والألوان والاعتقادات والتقاليد بسكان يبلغ تعداده مآت الملايين. وعشية الاستقلال قامت حكومة نهرو بإعادة صياغة التركيبة الإدارية للبلاد وجعلتها على ١٦ ولاية بعد أن كانت تتألف أكثر من ٦٠٠ ولاية يتمتع معظمها بحكم ذاتي، ثم صدر الدستور الذي حدد شؤون الحكومة فهي السلطة الحاكمة لاتحاد فيدرالي مكون من الولايات المذكورة والأقاليم الاتحادية، وإقليم العاصمة الوطنية. وجعل الدستور الهند بلدا ديمقراطيا يتمتع بحكومة برلمانية وفيدرالية وهو تفسيلي يشمل جميع الأمور المتعلقة بالحكومة ويضمن لمواطنيه الحرية حيث جاء في مقدمة دستورها أن "الهند دولة اشتراكية علمانية ديمقراطية جمهورية ذات سيادة مطلقة". ويدل كل لفظ من الألفاظ المذكورة على معنى خاص تقوم عليه الحكومة الهندية. وتحقيقا لهذا الهدف هناك نظام يخص عقد الانتخابات بعد كل خمس سنوات وتوجد في الهند الأحزاب السياسية المتعددة، منها الوطنية ومنها المحلية التي تشارك في الانتخابات. وتؤدي هذه الانتخابات بدورها إلى تشكيل الحكومة.

النظام البرلماني

اتخذت الهند لحكومتها نظاما برلمانيا ولم تختر نظاما رئاسيا، لأن النظام البرلماني يعد أقرب إلى الديمقراطية حيث إن الرئيس في النظام الرئاسي ينتخب مباشرا من الناس، فليس مسؤولا أمام السلطة التشريعية. وفي النظام البرلماني، يتمتع البرلمان بالسلطة العليا ويمثل الشعب، مع أن أعمال الحكومة تتم باسم رئيس الجمهورية في المركز واسم الحاكم في الولاية، ومجلس الوزراء، هو الذي يعد مسؤولا عن المجالس التشريعية في المركز والولاية كليهما، ويقوم في الحقيقة بأعمال الحكومة رئيس الوزراء وكبير الوزراء على الترتيب. ولا يتدخل أحدهما في عمل الآخر ولا تعمل حكومة الولاية كعميل للمركز، وإنما تقوم بدورها بذاتها. ولذلك جعل السلطات على ثلاث قوائم مختلفة.

وهي كما يلي:

قائمة المركز (The Union List)

قائمة الولاية (The State List)

قائمة المواضيع المشتركة بين حكومة المركز وحكومة الولاية (The Con current List)

وبإمكان الحكومة المركزية إصدار القانون عن المواضيع التي تندرج في قائمة المركز المتمثلة في الدفاع والشؤون الخارجية وخطوط السكك الحديدية والبريد والعملة والطاقة الذرية وغيرها من المواضيع البالغ عددها ٩٧ موضوعا، كما يمكن لحكومة الولاية ايضا ان تصدر القانون فيما يخص المواضيع الواردة في قائمة الولاية مثل المحافظة على الأمن والقانون ونظام الشرطة والحكومة المحلية والصحة العامة والشؤون الزراعية والتجارية والاقتصادية في الولاية وغيرها من المواضيع التي تبلغ ٦٦ موضوعا، والقائمة المشتركة عبارة عن المواضيع التي تهم كلا من حكومة الولاية وحكومة المركز على السواء، ويحق لكل منها إصدار قوانين في هذا الصدد، إلا أن الحكومة المركزية صاحبة اليد الطولي في سن القانون فيما إذا حصل خلاف بينهما، وتشمل هذه القائمة ٤٧ موضوعا.

الحكومة المركزية

تقوم الحكومة الهندية كغيرها من الحكومات العالمية على ثلاث هيئات من تشريعية وتنفيذية وقضائية وتسمى الهيئة التشريعية (The Legislature) في المركز بالبرلمان (Parliament)، وهي الهيئة التشريعية العليا. ويتكون البرلمان الهندي من مجلسين تشريعيين (Bicameral) ويطلق على أولهما مجلس الشعب (لوك سبها) والثاني مجلس الولايات (راجيا سبها) ويختلف المجلسان فيما بينهما من حيث السلطات والصلاحيات.

لوك سبها (Lok sabha)

ويتم انتخاب أعضاء لوك سبها (House of people) من قبل الشعب بصورة مباشرة ويتمتع كل مواطن من الجنسين البالغ عمره ثماني عشرة سنة أو أكثر بحق الإدلاء بالصوت في الانتخابات البرلمانية. وفي الشروط الأساسية لعضوية لوك سبها أن يكون الشخص مواطنا هنديا بالغا من العمر خمسا وعشرين سنة على الأقل. ولا يمكن أن يتجاوز عدد الأعضاء المنتخبين للوك سبها ٥٥٠ عضوا. ومن بينهم

يتم انتخاب ٥٣٠عضوا من مختلف الولايات والعشرين الآخرين من المناطق التابعة للحكومة المركزية (Union Territories) ويمكن أن يعين رئيس الجمهورية شخصين من المجتمع الهندي - الإنجليزي (فئة الانجلو-انديان-Anglo-Indian) عند ما يشعر بأن تمثيله ليس بكاف، ومدة صلاحية لوك سبها هي خمسة أعوام، ولا يمكن تمديد هذه المدة إلا عند الطوارئ، يقوم به البرلمان نفسه لفترة عام واحد فحسب في وقت واحد، ويمكن حل لوك سبها قبل إكماله مدة الخمس سنوات لأسباب. ويقوم أعضاء لوك سبها بانتخابات رئيسه ونائب رئيسه لإجراء أعماله.

راجيا سبها (Rajya Sabha)

إن الهند قد اتخذت شكلا فيدراليا للحكومة، فمن المهم أن تشارك الولايات في العملية التشريعية على المستوى المركزي، ويتم هذا عن طريق راجيا سبها (Council of States). ولا يختلف مؤهلات أعضاء راجيا سبها عن تلك لأعضاء لوك سبها إلا في أمر وهو أن أدنى العمر للتأهل للعضوية ثلاثون سنة . ويتكون راجيا سبها من ٢٥٠ عضوا، ومن بينهم يمثل ٢٣٨ عضوا الولايات والمناطق التابعة للحكومة المركزية ويقوم بانتخابهم أعضاء الجمعيات التشريعية من الولايات، وبسبب ذلك يقال هذا الانتخاب غير مباشر، واثنا عشر عضوا آخرين، لا يتم انتخابهم بل يعينهم رئيس الجمهورية على أساس انجازاتهم ومكانتهم المرموقة في مختلف المجالات كالآداب والعلوم والفنون والخدمات الاجتماعية وما إلى ذلك. وبالعكس من لوك سبها لا يمكن حل راجيا سبها، بل هو مجلس دائم. ولكن بعد كل سنتين يتقاعد ثلث مجموع أعضائه، ويتمتع عضو بالعضوية تمتد إلى ستة أعوام في وقت واحد الهيئة التنفيذية (The Executive).

هي تتكون من رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء بقيادة رئيس الوزراء في الحكومة المركزية. رئيس الجمهورية: مؤهلاته وطريقة انتخابه وسلطاته.

رئيس الجمهورية الهندية هو الرئيس الدستوري أو الرسمي للهيئة التنفيذية ويتم القيام بإدارة الحكومة وأعمالها باسم الرئيس بصفة رسمية ولكن في الحقيقة يتخذ مجلس الوزراء برئاسة رئيس الوزراء كل القرارات الحكومية، مما يعني أن جميع السلطات التنفيذية منوطة برئيس الوزراء ولذلك يكون رئيس الجمهورية رئيس الدولة ورئيس الوزراء هو رئيس الحكومة .

ويتم انتخاب الرئيس عن طريق غير مباشر من قبل هيئة انتخابية (Electoral College) تتألف من الأعضاء المنتخبين من البرلمان والمجالس التشريعية في جميع الولايات. ويتم انتخابه لمدة خمس سنوات ويمكن له أن ينافس للانتخاب إلى منصب الرئيس مرة ثانية لفترة أخرى. وبموجب الدستور يتمتع رئيس الجمهورية بسلطات متنوعة، وهي كمايلي:

١ السلطات التنفيذية: بما فيها تعيين رئيس الوزراء وأعضاء آخرين في مجلس الوزراء بناء على توجيهات رئيس الوزراء إلى جانب تعيين حكام الولايات والسفراء ومراقب النفقات(the Comptroller

) والنائب العام (the Attorney General) ومدقق الحسابات(the Auditor General) وما إلى ذلك. وهو أيضا القائد الأعلى للقوات الدفاعية الهندية ويمكن من إعلان الحرب والتصالح مع بلدان أخرى.

٢ السلطات التشريعية: بما فيها مثلا استدعاء جلسات البرلمان وتأجيلها ويمكنه أيضا حل لوك سبها تمهيدا للانتخابات العامة. ويقوم بإفتتاح البرلمان بعد الانتخابات العامة بإلقاء كلمة الافتتاح في لوك سبها، كما يخاطب جلسته الأولى كل عام.

٣ السلطات القضائية: بما فيها تعيين رئيس القضاة والقضاة الآخرين للمحكمة العليا (Supreme Court) وللمحاكم العالية (High Courts) إلى جانب منح العفو والحكم بتخفيض العقوبة بخصوص مجرم وما إلى ذلك.

٤ السلطات الطارئة: الطوارئ تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١. قد تتسبب بالحرب والاعتداء الخارجي والتمرد المسلح
٢. قد تتسبب بفشل النظام الدستوري في الولايات .
٣. قد تتسبب بالأوضاع المالية الخطيرة، يمكن أن يعلن الرئيس هذا الطوارئ الثلاثة في مصلحة البلاد.

نائب رئيس الجمهورية

يختلف انتخاب نائب رئيس الجمهورية عن رئيس الجمهورية، وتقوم بانتخابه الهيئة الانتخابية التي تتكون من أعضاء المجلسين للبرلمان فحسب. وتنطبق عليه أيضا نفس المؤهلات اللازمة لرئيس الجمهورية. وفي غياب الرئيس وإصابته بالمرض يقوم نائب الرئيس بأعماله. وإذا استقال أو مات الرئيس، فيؤدي نائب الرئيس وظيفته إلى أن يتم انتخاب الرئيس الجديد. ولا بد أن يتم انتخابه في غضون ستة شهور. ونائب رئيس الجمهورية هو رئيس راجيا سبها بحكم منصبه.

مجلس الوزراء

يعد مجلس الوزراء مجلسا تنفيذيا حقيقيا، والذي يقوده رئيس الوزراء و يلعب دورا مهما في اتخاذ القرارات وهو مسؤول عن لوك سبها ويبقى على السلطة ما دام يتمتع بالأغلبية في لوك سبها، وله ثلاثة أقسام من الوزراء:

١. الوزراء في الكابينة، وهم الذين يتولون حقائب وزارية هامة ومستقلة.
٢. وزراء الدولة، وهم الذين يستطيعون أن يعملوا بطريقتين، أولهما قد يساعدون وزراء الكابينة والثاني قد يحملون منصبا مستقلا للوزارة.
٣. نائبون للوزراء، وهم الذين يساعدون وزراء الكابينة ووزراء الدولة.

رئيس الوزراء

يحظي رئيس الوزراء بالسلطات العليا في مجلس الوزراء وهو على رأس مجلس الوزراء الذي يساعده في إدارة الحكومة، ويتحتم على أعضائه القيام بأعمالهم طبقا لتعليماته وتوجيهاته ويلعب رئيس

الوزراء دورا حيويا للاتصال بين رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء، ويعينه الرئيس من حزب أو تحالف الأحزاب التي تتمتع بالأغلبية في لوك سبها ويتم انتخابه عن طريق غير مباشر، ولكن يقوم الشعب بانتخاب حزبه بصفة مباشرة، ويقرر رئيس الوزراء سياسات الحكومة ويترأس اجتماعات مجلس الوزراء وينسق أعمال الوزارات المختلفة، وهو أيضا رئيس لجنة التخطيط التي تشرف على السياسات الاقتصادية.

******

PART A

CHARACTERISTICS OF INDIAN CONSTITUTION

UNIT 2

ملامح الدستور الهندي ـ مميزاته ـ مقدمة الدستور ـ الأجزاء ـ الحقوق الأساسية المساواة أمام القانون ـ حماية مصالح الأقليات ـ اللوائح والجداول ـ التعديلات

يمتاز الدستور الهندي عن دساتير الدول العالمية، بالفكرة الإنسانية ، تمثل ديباجة الدستور مقدمة لهذه الفكرة، وتحدد المبادئ العاملة التي تستهدف الدولة إلى تحقيقها وهي العدالة والحرية والمساواة والإخاء. وداخل هذا النص، تشكل المبادئ الأساسية قلب بنية الدستور والقيم التي يجسدها.

من أبرز عناوينه: مقدمة الدستور ـ الأجزاء ـ الحقوق الأساسية المساواة أمام القانون ـ حماية مصالح الأقليات ـ اللوائح والجداول ـ التعديلات

ملامح الدستور الهندي

مميزاته

كان من بين التحديات الأساسية للأمة الهندية في فترة انتهاء حقبة الاستعمار هو صياغة دستور يلبى الاحتياجات الخاصة لهذا المجتمع ويعتبر عن الأهداف الاجتماعية والتنموية التي تسعى إلى تحقيقها. ولا تزال الهند إلى اليوم تمتلك خبرة كبيرة يتعلم منها الآخرون في مجال صياغة الدستور والتشريعات. وقد شهد الخبراء السياسيون والمراقبون الدوليون أن صياغة دستور الهند بهذا التنوع الهائل الذي تتميز به من حيث اللغات والديانات والأعراق والانتماءات العنصرية والسياسية كان عملا عظيما. ويرجع الفضل في ذلك إلى أحلام الآباء المؤسسين للهند من أمثال مهاتما غاندي وجواهرلال نهرو وغيرهم الكثير والكثير من زعماء الهند. ومن الأمور الجديرة بالثناء في الدستور الهندي التحديث الدقيق للمسؤوليات في إطار نظام فيدرالي، وحماية استقلال السلطة القضائية، والتوضيح الرصين للمبادئ الأساسية التي على الدولة أن تعمل وفقا لها، ولعل أبرزها ما يتعلق بالحقوق الأساسية التي على الدولة أن تعمل وفقا لها، ولعل أبرزها ما يتعلق بالحقوق الأساسية للمواطنين التي لا يمكن انتقاص شيء منها، كحرية الشخصية وحرية الكلام والتعبير، وحماية الحياة والحماية من الاعتقال والاحتجاز بدون حق وهي عبارة عن حقوق الأفراد التي تحميهم من طغيان الدولة وتضمن حياتهم وحريتهم، وحماية مصالح الأقليات، فإن الدستور الهندي هو بحق حجر الأساس لنظام ديمقراطي خالص إذا عمل به في الإطار السلمي واحتذى به بوجه تام.

ويمتاز أيضا عن دساتير الدول العالمية، بالفكرة الإنسانية ، تمثل ديباجة الدستور مقدمة لهذه الفكرة، وتحدد المبادئ العاملة التي تستهدف الدولة إلى تحقيقها وهي العدالة والحرية والمساواة والإخاء. وداخل هذا النص، تشكل المبادئ الأساسية قلب بنية الدستور والقيم التي يجسدها.

ومن خصائصه أنه متجاوب مع العهود والمواثيق الدولية الخاصة بشرعة حقوق الإنسان، من جانب آخر، ألقى جميع أشكال التمييز العنصري النبذ، ورغم أن النبذ لم يلغ نهائيا لعوائق دينية، إلا أن الأمور تجري في طريقها الصحيح من خلال نشر الثقافة الديمقراطية والإسراع في مجالات التنمية للتغلب على وحشية الأمية والفقر والتفرقة.

أهمها

١ الجمعية التأسيسية هي ضامن صياغة الدستور، وكان معظم أعضاءها محامين مرموقين وماهرين في قوانين دول العالم، ورئيس لجنة صياغة الدستور الدكتور أمبيدكار كان عالما عميقا في القوانين.

٢ قدماءنا العظام اقتبسوا المبادئ الدستورية من دساتير دول العالم الرائدة في الديمقراطية والعلمانية كبريطانيا وأمريكا وفرنسا وروسيا وكاندا وألمانيا، فأخذوا من أكثرها ملائمة لوطننا

وأوفرها فائدة لأمتنا، وتركوا ما ليس كذلك، فلذلك يبقى هيبته بغير خلل ولا ملل، بخلاف دساتير باكستان أو بنجلاديش أو برما حيث تحررت معنا. وبعض الأمثلة لذلك – فكرة الحقوق الأساسية والمساواة أمام القانون والسلطة القضائية المستقلة اقتبست من دستور الولايات المتحدة، والنظام البرلماني والتشريع والمواطنة الوحيدة والانتخابات من دستور بريطانيا والمبادئ التوجيهية من دستور أيرلندا، والواجبات الأساسية من دستور الاتحاد السوفياتي.

٣ الدستور الهندي ليس قانونا أساسيا فحسب، بل إنه أحكام مفصلة بالنسبة إلى ما يتعلق بها فتمكن الجهات المعنية من تجنب مشاكل معقدة.

٤ حجم بلدنا واتساع رقعتها وكثرة سكانها وتنوعاتها أجبرت آباء الدستور على اتخاذ أحكام مفصلة لحماية مصالح أقاليم مختلفة وطوائف متنوعة، فبذلك يحتوي على بنود مختصة للأقليات والطوائف والقبائل المجدولة.

٥ دستورنا جامع (Omnibus Constitution)، وهو قانون لدولتنا وفي نفس الوقت قانون للولايات المكونة للدولة.

٦ إنه أضخم دستور مكتوب في العالم، وليس هناك ما يغلبه حجما وضخامة فهو يشكل أكبر ديمقراطية على كوكب الأرض، وكان لصورته الأصلية ٢٢ جزءا و٣٩٥ مادة و٨ جداول، ومع ذلك تعرض لحوالي ١٠٠ تعديل، مما زاد في ضخامته.

٧ يؤسس في المركز والولايات الحكومات ذات تمثيل برلماني اتحادي ويعتبر بموجبه رئيس الوزراء رئيس الحكومة.

٨ أنواع الدساتير من حيث إجراءات تعديله اثنان المرن والجامد والأول هو الدستور الذي يمكن تعديله بإتباع نفس إجراءات تعديل القواعد القانونية، والدستور الجامد أو الصلب أو الصارم كما يسميه البعض هو الذي لا يمكن تعديله إلا وفقا لإجراءات خاصة تختلف عن تلك التي تتبع في تعديل القوانين العادية. ودستور الهند يجمع صفة الجمود والمرونة وتم تعديله حوالي مائة مرة، مما جعله واحدا من أكثر الدساتير تعرضا للتعديل في العالم.

٩ يأكد على الحقوق الأساسية ويعلن أهداف الدولة

١٠ يأكد مركزا قويا ونظاما فدراليا منتظما

١١ يقدم حق التصويت على أساس البلوغ من حيث السن

١٢ يعد السلطة القضائية واحدا من دعائم الديمقراطية فيجعلها مستقلة من سائر هيئات الحكومة ولا يستحسن التدخل في الشؤون القضائية.

ويعتبر أثمن معلمها بعد ديمقراطيتها علمانيتها، فليس للجمهورية دين رسمي، كل ديانة فيها سواء، كل فرد من أفرادها إلى أي ديانة ينتمي، سواسية كأسنان المشط، وهذا أكثر تأثيرا في جعل هذه الأرض أكثر جمالا، الهند هي أمة ديانات مختلفة وجنسيات متنوعة ولكل منها ما يميزها من الهوية والتقاليد

والعادات والمتبعات الاجتماعية والألوان والسلوك واللهجات واللغات والتمايز الإقليمي والأزياء والأطعمة والاعتقادات وأساليب الحياة المتنوعة، ولكنها مع ذلك كله متحدة بعضها للبعض، من خلال نزعة مشتركة من القومية الهندية، وهذا جعلتها واحدة من أكثر البلدان الفريدة من نوعها في العالم حيث المفهوم الوحدة في التنوع.

ومن معالم الدستور أنه دستور فدرالي، ولو لم يستعمل مصطلح فدرالي فيه، فإنه أوضح فيه أنه اتحاد ولايات. وجميع سمات النظام الفدرالي متواجد فيه وأهمها مجموعتا الحكومة–حكومة المركز وحكومات الولايات المكونة للدولة. وتقسيم السلطات بين الحكومة المركزية وحكومات الولاية يمنحها سمات دولة فدرالية.

مقدمة الدستور (Preamble of Constitution)

بدأ الدستور بديباجة أي بمقدمة تعبر عن أحلام واحدة من أقدم حضارات العالم، وآمال شعب جعله الاحتلال البريطاني يعاني من الفقر والانقسام والطائفية والجهل، فجاءت ديباجة دستور الهند تحمل أربع غايات للجمهورية الوليدة، هي العدالة والحرية والمساواة وإنهاء الكراهية وبدء عهد جديد من الإخاء.

ونصت الديباجة التي افتتحت الدستور على أن شعب الهند يصرح العزم رسميا على إعلان جمهورية علمانية ديمقراطية اشتراكية، تؤمن لمواطنيها: العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وحرية الفكر والتعبير والدين والمعتقد والعبادة، والمساواة بين المواطنين في الأوضاع والفرص، وتشجيع الإخاء وضمان كرامة الفرد ووحدة وسلامة الأمة الشاملة.

نصه

نحن، شعب الهند لقد قررنا رسميا، وبكل رزانة ووقار،

أن نشكل الهند، دولة موحدة في جمهورية ديمقراطية، علمانية، اشتراكية، ذات سيادة واستقلال،

وأن نضمن لجميع مواطنيها:

العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛

وحرية الفكر والتعبير والاعتقاد، والعبادة؛

والمساواة في الأوضاع والفرص؛

وأن نعزز في ما بينهم جميعا:

الأخوة وضمان كرامة الفرد ووحدة وسلامة الأمة؛

كما قررنا في جمعيتنا الدستورية، المنعقدة في هذا اليوم، الموافق للسادس والعشرين من شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٤٩.

أن نتبنى ونعتمد ونمنح أنفسنا هذا الدستور.

أهداف الدستور

قد أوضحت الجمعية التأسيسية سبعة أهداف للدولة الجديدة، وهي:

الهند ستكون جمهورية ديمقراطية مستقلة.

ستكون اتحادا للوحدات المستقلة.

ستحصل على قوتها من الشعب.

ستضمن العدالة والمساواة وحرية الفكر والتعبير لجميع الهنود.

ستحافظ على حقوق الأقليات والشعوب القبلية والنازحين المطرودين.

ستبقى سيادة الجمهورية سلامة أراضيها.

وستساهم في السلام والفلاح العالمي.

الأجزاء(Parts of the Constitution)

للدستور خمسة وعشرون جزءا، وكان في البداية اثنان وعشرون فقط، والثلاثة الحقت فيما بعد بالتعديلات المختلفة، وترتيبها كما يلي:

الجزء الأول: الاتحاد وإقليمه (The Union and its Territories)

من المادة الأولى إلى الرابعة

الجزء الثاني: المواطنة (Citizenship)

من المادة الخامسة إلى الحادية عشرة

الجزء الثالث: الحقوق الأساسية (Fundamental rights)

من الثانية عشر إلى الثالثة والثلاثين

الجزء الرابع: المبادئ التوجيهية لسياسة الدولة (Directive Principles of State Policy)

من السادسة والثلاثين إلى الحادية والخمسين

الجزء الرابع/أ : الواجبات الأساسية (Fundamental Duties)

المادة الحادية والخمسين – أ

الجزء الخامس : الاتحاد (the Union)

وفيه خمسة فصول: الفصل الأول الجهاز التنفيذي – من المادة الثانية والخمسين إلى الثامنة والسبعين (الرئيس ونائبه)

الفصل الثاني البرلمان – من المادة الثامنة والسبعين إلى ١٢٢

الفصل الثالث سلطات الرئيس التشريعية – المادة ١٢٣

الفصل الرابع المجال القضائي للاتحاد – من المادة ١٢٤ إلى ١٤٧

الفصل الخامس مراقب النفقات ومدقق الحسابات- من المادة ١٤٨ إلى ١٥١

الجزء السادس: الولايات (The states) من ١٥٢ إلى ٢٣٧

الجزء السابع الولايات في جزء ب للجدول الأول (The states in Part B of the First Schedule) المادة ٢٣٨، وردت بالتعديل السابع في ب١٩٥٦.

والجزء الثامن المقاطعات الاتحادية (The Union Territories) من ٢٣٩ إلى ٢٤٢

والجزء التاسع البانشايتس (Panchayat) من ٢٤٣ إلى ٢٤٣ أو (O)

الجزء التاسع/أ البلديات (Municipalities) من ٢٤٣ بي (P) إلى ٢٤٣ زمي (zc)

الجزء العاشر المناطق المجدولة والقبلية (Scheduled and Tribal Areas) المادة ٢٤٤ و ٢٤٤ أ

الجزء الحادي عشر العلاقات بين الاتحاد والولايات (Relations Between the Union and the States) من مادة ٢٤٥ إلى ٢٦٣ في فصلين

الجزء الثاني عشر المالية والملكية والعقود والدعاوي (Finance, Property, Contracts and Suits) من ٢٦٤ إلى ٣٠٠ أ في أربعة فصول

الجزء الثالث عشر الحرف والتجارة والعلاقات التجارية ضمن أراضي الهند (Trade, commerce, and Intercourse within the Territory of India) من ٣٠١ إلى ٣٠٧

الجزء الرابع عشر الأجهزة في إطار الاتحاد والولايات (Services under the Union and States) من ٣٠٨ إلى ٣٢٣ في فصلين

الجزء الرابع عشر/أ المحاكم القضائية (Tribunals) ٣٢٣ أ ٣٢٣ ب

الجزء الخامس عشر الانتخابات (Election) من مادة ٣٢٤ إلى ٣٢٩ أ

الجزء السادس عشر أحكام خاصة بفئة معينة (Special relating Certain Classes Provisions) من ٣٣٠ إلى ٣٤٢

الجزء السابع عشر اللغة الرسمية (Official Language) من ٣٤٣ إلى ٣٥١ في أربعة فصول

الجزء الثامن عشر أحكام الطوارئ من ٣٥٢ إلى ٣٦٠ (Emergency Provisions)

الجزء التاسع عشر أحكام متفرقة (Miscellaneous) من ٣٦١ إلى ٣٦٧

الجزء العشرون تعديل الدستور (Amendment of Constitution) المادة ٣٦٨

الجزء الحادي والعشرون أحكام مؤقتة وانتقالية خاصة (Temporary, Transitional and Special Provisions) من ٣٦٩ إلى ٣٩٢

الجزء الثاني والعشرون التسمية المختصرة وبداية السريان والنص الرسمي باللغة الهندية والإلغاءات في الدستور. (Short Title, Commencement, Authoritative Text in Hindi and repeals in the Constitution) من ٣٩٤ إلى ٣٩٥

والجزء الذي يحدد أراضي الهند واقاليمه هو الأول من أجزاءها،

وهو كما يلي:

الاتحاد وإقليمه، في هذا الجزء خمسة مواد، يحدد الأولى منها اسم الاتحاد الهندي ويعين تركيبه، وعنوان وأهم مواد هذا الجزء كما يأتي :

مسمى الاتحاد وأراضي أقاليمه

١. الهند، وهي بهارات (Bharat) ، يجب أن تكون اتحاد ولايات.
٢. الولايات والأقاليم المذكورة الخاصة بها هي على النحو المبين في الجدول الأول.
٣. تضم أقاليم الهند، ما يلي:

أ-أراضي الولايات؛

ب- الأقاليم الاتحادية المحددة في بالجدول الأول؛

٤. قبول أو إنشاء ولايات جديدة

يستطيع البرلمان بموجب هذا القانون، قبول الدخول في الاتحاد، أو إنشاء أية ولايات جديدة على أساس الأحكام والشروط التي يراها البرلمان مناسبة.

٥. تشكيل ولايات جديدة وتعديل المناطق والحدود أو أسماء الولايات القائمة

يجوز للبرلمان بموجب القانون، أن يعمل على ما يلي:

١.تشكيل أي ولاية جديدة من خلال فصل أراضي إقليم من أية ولاية، أو من خلال توحيد ولايتين أو أكثر أو أجزاء من الولايات، أو من خلال دمج وتوحيد أي إقليم مع جزء من أية ولاية؛

٢.زيادة مساحة أية ولاية؛

٣.التقليل من مساحة أية ولاية؛

٤.تغيير حدود أية ولاية؛

٥.تغيير اسم أية ولاية:

المواطنة (Citizenship)

ويذكر عن المواطنة في الجزء الثاني منها

يذكر في المادة الأولى من هذا الجزء بإيضاح وتفصيل عن المواطنة وأحوالها وكيفية اكتسابها وأهلية بقاءها، وأهم المواد منها كما يلي:

١ المواطنة عند بدء الدستور

في بداية هذا الدستور، كل شخص كان محل إقامته في إقليم الهند، و

أ. كان مولودا في أراضي الهند؛أو

ب. كان أحد والديه مولودا في إقليم الهند؛ أو

ت. كان مقيما في أراضي الهند لمدة لا تقل عن السنوات الخمس السابقة مباشرة لبدء هذا الدستور، يعتبر مواطنا من الهند

٢ حقوق المواطنة لبعض الاشخاص الذين هاجروا إلى الهند من باكستان

على الرغم من أي شيء وارد في المادة ٥، فإن الشخص الذي هاجر إلى أراضي الهند من إقليم مدرج الآن في باكستان، يعتبر من مواطني الهند مع بدء هذا الدستور إذا كان هو نفسه، أو أي من والديه أو جديه مولودا في الهند.

الحقوق الأساسية(Fundamental Rights)

والحقوق الأساسية التي يذكرها الدستور هي مما يشير إلى جوانب إنسانية يتحلى بها الدستور، وهي في الجزء الثالث منه. قبل الخوض في ذكر هذه الحقوق يأكد في مقدمة هذا القانون أن عبارة الدولة تشمل الحكومة والبرلمان في الهند والحكومة والهيئة التشريعة في كل ولاية وجميع السلطات المحلية أوغيرها القائمة. وأهم موادها يقول كما يلي:

١ القوانين غير المنسجمة مع الحقوق الأساسية أو التي تنتقص منها، (Laws inconsistent with or (in derogation of the fundamental rights

٢ وجميع القوانين النافذة في أراضي الهند مباشرة قبل سريان هذا الدستور، وبقدر ما تكون متعارضة مع أحكام هذا الباب، فإنه يتعين أن تعتبر وتصبح باطلة.

٣ لا يحق للدولة أن تضع أي قانون قد يزيل أن يختصر من الحقوق التي يمنحها هذا الباب، كما أن أي قانون موضوع، أو قد يوضع بصورة مخالفة لهذا الشرط، فإنه بقدر ما فيه من مخالفة، سوف يعتبر باطلا ولاغيا. أهمها

١ المساواة أمام القانون (Equality before law)

يجب على الدولة ألا تحرم أي شخص من المساواة أمام القانون أو المساواة في حماية القوانين داخل أراضي الهند.

١ حظر التمييز على أساس الدين أو العرق أو الطائفة أو الجنس أو مكان الولادة

٢ يجب على الدولة عدم التمييز ضد أي مواطن على أساس الدين أو العرق أو الطائفة أو الجنس أو مكان الميلاد

٣ لا يجوز لأي مواطن، على أساس الدين أو العرق أو الطائفة أو الجنس أو مكان الميلاد، أن يتم إخضاعه لأية إعاقة أو منع أو مسؤولية أو قيد أو شرط بشأن:

أ. السماح بدخول المحلات التجارية والمطاعم العامة والفنادق وأماكن الترفيه العامة؛ أو

ب. استخدام الآبار والخزانات والأدراج المؤدية إلى الأنهار، والطرق وأماكن الترفيه والمنتجعات العامة الممولة كليا أو جزئيا من أموال الدولة أو مكرسة لاستخدام الجمهور

٤ ليس في هذه المادة ما يمنع الدولة من وضع أية أحكام خاصة للنساء والأطفال.

٥ ليس في هذه المادة أو في البند (٢) من المادة ما يمنع الدولة من وضع أية أحكام خاصة للنهوض بأي من الطبقات المتخلفة اجتماعيا وتعليميا من فئات المواطنين أو الطوائف والقبائل المجدولة.

٢.تكافؤ الفرص في مسائل التوظيف في القطاع العام
(Equality of opportunities in matters of public employment)

١ يجب أن يكون هناك تكافؤ في الفرص لجميع المواطنين في المسائل المتعلقة بالعمل أو التعيين في أي منصب في إطار الدولة.

٢ لا يجوز، على أساس الدين أو العرق أو الطائفة أو الجنس أو النسب أو مكان الميلاد أو الإقامة، أن يعتبر أي مواطن غير مؤهل، أو يمارس ضده أي تمييز فيما يتعلق بتولى أي وظيفة أو منصب خاضع لسلطان الدولة.

٣ إلغاء النبذ

يعتبر النبذ (Untouchablity) ملغيا وتحظر ممارسته بأي شكل من الأشكال. ويعتبر تنفيذ أي إعاقة ناجمة عن النبذ بمثابة جريمة يعاقب عليها وفقا للقانون.

٤ إلغاء الألقاب (Titles)

١ لا يجوز للدولة منح الألقاب تمييز عسكرية أو أكاديمية.

٢ لا يجوز لأي مواطن من الهند قبول أي لقب من أية دولة أجنبية.

٥ الحق في الحرية (Right of Freedom)

حماية بعض الحقوق المتعلقة بحرية التعبير وغيرها

١ جميع المواطنين لهم الحق في ما يلي:

أ. حرية الرأي والتعبير؛

ب. حرية التجمع سلميا بدون أسلحة؛

ت. تكوين الجمعيات أو النقابات أو الجمعيات التعاونية؛

ث. التحرك بحرية في جميع أنحاء أراضي الهند؛

ج. الإقامة والاستقرار في أي جزء من أراضي الهند؛

٦ الحماية من الإدانة بسبب الجرائم

١ لا يجوز أن يدان أي شخص بأي جريمة لم تنتهك قانونا نافذا وقت ارتكابها، ولا يجوز تعريض ذلك الشخص لعقوبة أشد من تلك التي قد يتم فرضها بموجب القانون في وقت ارتكاب الجريمة.

٢ لا يجوز ملاحقة ومعاقبة أي شخص على نفس الجرم أكثر من مرة.

٣ لا يجوز إرغام أي شخص متهم بارتكاب أي جريمة أن يكون شاهدا ضد نفسه.

٧ حماية الحياة والحرية الشخصية

لا يجوز حرمان أي شخص من حياته أو حريته الشخصية إلا وفقا للإجراءات التي ينص عليها القانون.

٨ الحق في التعليم

يجب على الدولة توفير التعليم المجاني والإلزامي لجميع الأطفال من سن ست سنوات إلى سن أربعة عشر عاما بالطريقة التي تستطيع الدولة أن تقررها وتعتمدها وفقا للقانون.

٩ الحماية من الاعتقال والاحتجاز في حالات معينة

١ لا يحق وضع أي شخص مقبوض عليه رهن الاعتقال والتوقيف دون إبلاغه، بأسرع ما يمكن، إمام القاضي كما لا يجوز حرمانه من الحق في الحصول على الاستشارة والدفاع عنه، من قبل محام من اختياره.

٢ كل شخص يلقى القبض عليه ويحتجز في الحبس، يحب عرضه على أقرب قاض خلال فترة أربع وعشرين ساعة من ذلك التوقيف، باستثناء الوقت اللازم للرحلة من مكان الاعتقال إلى المحكمة التي يوجد فيها القاضي، ولا يجوز احتجاز ذلك الشخص إلى ما بعد الفترة المذكورة دون إذن من قاض.

١٠ الحق في مناهضة الاستغلال

حظر الاتجار بالبشر والعمل الجبري (Prohibition of traffic in human beings and forced labour)

١ يعتبر الاتجار بالبشر والعمل القسري وغيره من أشكال العمل الجبري محظورة، وأي مخالفة لهذا الحكم تعتبر جريمة يعاقب عليها، وفقا للقانون.

٢ ليس في هذه المادة ما يمنع الدولة من فرض الخدمة الإلزامية لأغراض عامة، وفرض مثل هذه الخدمة من جانب الدولة لا يجوز أن يكون فيها أي تمييز على أساس الدين أو العرق أو الطائفة أو الطبقة.

١١ حظر تشغيل الأطفال في المصانع، الخ (Prohibition of employment of children in factories.etc.)

لا يجوز استخدام أي طفل دون سن الرابعة عشر للعمل في أي مصنع أو منجم أو المشاركة في أي أعمال خطرة أخرى.

١٢ الحق في حرية الدين

١ حرية الضمير وحرية ممارسة المهن ونشر الدين

(Freedom conscience and free profession, practice and propagation of religion)

أ. مع المراعاة والالتزام التام بالنظام العام والأخلاق والصحة والأحكام الأخرى في هذا الباب، يتمتع جميع الأشخاص، على قدم المساواة، بحرية الضمير وحرية المعتقد وممارسة ونشر الدين.

ب. الحرية لإدارة الشؤون الدينية

مع الالتزام التام بالنظام العام والأخلاق والصحة، فإن لكل طائفة دينية أو أي قسم منها الحق في ما يلي:

أ إنشاء المؤسسات لأغراض دينية وخيرية والحفاظ عليها؛

ب إدارة شؤونها بنفسها في مجال المسائل الدينية؛

ج امتلاك وحيازة الممتلكات المنقولة وغير المنقولة

د إدارة تلك الممتلكات، وفقا للقانون.

٢٧ الحرية بشأن دفع الضرائب لتشجيع أي دين معين

لا يجوز إجبار أي شخص على دفع أية ضرائب، عن عائدات مخصصة على وجه التحديد لتسديد نفقات من أجل تعزيز أو رعاية أي دين معين أو طائفة دينية.

حماية مصالح الأقليات

١ أي قسم من المواطنين المقيمين في أراضي الهند أو أي جزء منها له لغة أو خطوط كتابة نصية متميزة أو ثقافة خاصة به، يحق له الحفاظ عليها.

٢ لا يجوز حرمان أي مواطن من القبول في أي مؤسسة تعليمية تدار من قبل الدولة أو تتلقى مساعدات من أموال الدولة على أساس الدين أو العرق أو الطائفة أو اللغة.

٣ حق الأقليات في إنشاء وإدارة المؤسسات التعليمية

أ. يحق لجميع الأقليات، سواء على أساس الدين أو اللغة، العمل على إنشاء وإدارة المؤسسات التعليمية التي يختارونها.

ب. لا يجوز للدولة التمييز في عملية منح المساعدات للمؤسسات التعليمية، ضد أي مؤسسة تعليمية بحكم كونها تحت إدارة أقلية، سواء على أساس الدين أو اللغة.

التوجيهات لسياسة الدولة

الجزء الرابع هو الذي يجعل الدولة ضامنة على تأكد رفاهية الرعايا وعنوانه المبادئ التوجيهية لسياسة الدولة (Directive Principles of State Policy)

وتذكر هذه المبادئ من المادة السادسة والثلاثين إلى الحادية والخمسين. وهذه المبادئ موجهة للحكام ليراعوا حين ينشغلون بالتشريع، ويؤكد في المادة الثامنة والثلاثين بهذا الجزء أن الدولة تضمن نظاما اجتماعيا يكفل رفاهية حياة الناس ونجاحهم. ونص أهم موادها كما يلي :

١ يترتب على الدولة تأمين النظام الاجتماعي من أجل تعزيز رفاهية الشعب.

٢ يجب على الدولة أن تسعى إلى تعزيز رفاهة الشعب من خلال العمل بفعالية لتأمين وحماية نظام اجتماعي، بحيث تسوده العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في جميع مؤسسات ومرافق الحياة الوطنية.

٣ يتعين على الدولة، على وجه الخصوص، أن تسعى جاهدة للحد من عدم المساواة في الدخل، وتسعى للقضاء على عدم المساواة في الوضع والتسهيلات والفرص، ليس فقط بين الأفراد فحسب، وإنما أيضا بين مجموعات الناس الذين يقيمون في مناطق مختلفة، أو يعملون في مهن مختلفة.

٤ تعزيز المصالح التعليمية والاقتصادية للطوائف والقبائل المجدولة وشرائح المجتمع الضعيفة الأخرى.

الواجبات الأساسية(Fundamental Duties)

ومن الأجزاء المهمة الجزء الرابع/أ لأنها تذكر الواجبات الأساسية للمواطنين بتفصيل، ولم يكن هذا الجزء في البداية، وألحق في ١٩٧٦ إلى الدستور بالتعديل الثاني والأربعين. ويوضح الجزء الواجبات كما يأتي:

يجب أن يكون من واجب كل مواطن في الهند:

١ الالتزام بالدستور واحترام مثله العليا ومؤسساته والعلم الوطني والنشيد الوطني؛

٢ الاعتزاز والتمسك بالمثل النبيلة التي ألهمت نضالنا الوطني من أجل تحقيق الحرية؛

٣ دعم وحماية سيادة ووحدة وسلامة الهند؛

٤ الدفاع عن البلاد وأداء الخدمة الوطنية عند النداء للقيام بذلك؛

٥ تعزيز الانسجام وروح الأخوة المشتركة بين جميع الناس في الهند وتجاوز الاختلافات الدينية واللغوية والإقليمية أو القطاعية؛ ونبذ الممارسات المهينة أو التي تحط من كرامة المرأة وتقدير التراث الغني للثقافة المركبة في الهند والحفاظ عليه؛

٦ حماية وتحسين البيئة الطبيعية، بما فيها الغابات والبحيرات والأنهار والحياة البرية، والرأفة بسائر الكائنات والمخلوقات الحية؛

٧ تطوير الروح العلمية والإنسانية وتعزيز روح البحث والإصلاح؛

٨ حماية الممتلكات العامة والتخلي عن العنف.

الاتحاد (The Union)

والدستور يذكر عن الأنظمة الإدارية في الجزء الخامس منه باسم الاتحاد

وهذا من أطول أجزاء الدستور، لبيان الجهاز التنفيذي للدولة، ولذلك قسم إلى خمسة أبواب بحوالي مأة مادة، يبين في أولها عن انتخاب الرئيس ونائب الرئيس وسلطاتهما ومدتهما ومؤهلاتهما وغيرهما من التفاصيل المتعلقة بمكتبهما وكيفية أداء عملهما، وعن مجلس الوزراء ورئيسه وسلطاته، من المادة الثانية والخمسين إلى الثامنة والسبعين.

والباب الثاني عن البرلمان، يناقش فيه عن كيفية تشكيل مجلسي البرلمان وصفات أعضاءهما ومؤهلاتهما وكيفية انتخابهم ومدة صلاحية المجلسين وعن اجتماع المجلسين وسلطاتهما وعن رئيس المجلسين وغير ذلك من الأعمال والحقوق والواجبات. وأحكام البرلمان ذكرت في المواد من التاسع والسبعين إلى الثاني والعشرين والمأة.

والباب الثالث عن سلطات الرئيس التشريعية، أي سلطة الرئيس في إصدار المراسيم خلال العطلة البرلمانية، والرابع عن الجهاز القضائي للاتحاد، تأسيس المحكمة العليا وتعيين القضاة فيها وتوزيع رواتبهم وغير ذلك من التفاصيل المختلفة المتعلقة بتأكد جهاز قضائي عادل غير متعصب ولا منحاز.

والباب الخامس عن المراقب المالي ومدقق الحسابات العام في الهند أي يتعين أن يكون هناك مراقب مالي ومدقق للحسابات في الهند، بحيث يعينه رئيس الدولة بموجب مذكرة موقعة بيده وممهورة بختمه، ولا يجوز عزله من منصبه إلا بنفس المنوال، وعلى أساس كأنه بمثابة قاض في المحكمة العليا.

الجزء السادس هو الذي يبين عن كيفية إدارة شؤون الولاية، وعنوانه الولايات

وهذا الجزء أيضا قسم إلى خمسة أبواب على طراز الجزء السابق، أولها مذكرة عن الولاية بوجه عام وثانيها لتفصيل الجهاز التنفيذي للولاية وتركيبها، وحاكم الولاية (Governor of State) – تعيينه وسلطاته ومدته وشروط مكتبه، والسلطة التنفيذية للولاية، مجلس الوزراء ورئيسه وغيرها من نظام الولاية.

والباب الثالث عن المجلس التشريعي للولاية- تكوينه وكيفيته ومدته وعن أعضائه – حقوقهم وواجباتهم، وعن جلسات المجلس وعن علاقة حاكم الولاية بالمجالس التشريعة للولاية .

والباب الربع عن سلطات الحاكم التشريعية، أي سلطة حاكم الولاية في إصدار المراسيم خلال عطلة المجلس التشريعي والباب الخامس عن المحاكم العليا في الولايات، تكوين المحاكم وتعيين القضاة وغيرها.

اللوائح والجداول(Schedules)

لما انتهى آباء الدستور من كتابة المواد لوحوا ذلك ببعض الجداول وطرزوه ببعض الملحقات (Appendices) فهناك خمس ملاحق في الدستور مما تشمل قضايا مثل حماية كشمير الدستورية، والحبس الاحتياطي (Preventive detention) والحق في المساواة وغيرها.

والجداول هي الملحقات في الدستور التي تحتوي على تفاصيل إضافية لم يرد ذكرها في مواده وهنا فكرة موجزة عن كل من جداول الدستور الهندي. كان الدستور الهندي في الأصل ثمانية جداول، أضيفت أربعة جداول بتعديلات مختلفة، مما يجعل الآن تعداده الإجمالي من اثني عشر.

الجدول الأول على قائمة الولايات والأقاليم الاتحادية وأراضيها الجدول الثاني يتضمن أحكاما للرئيس، وحاكمي الولايات ورئيس ونائب رئيس مجلس الشعب ورئيس ونائب رئيس مجلس الولايات ورئيس ونائب رئيس المجلس التشريعي و رئيس ونائب رئيس المجلس التشريعي للولاية، وقضاة المحكمة العليا في المركز والمحاكم العالية في الولايات والمراقب المالي ومراجع الحسابات العامة في الهند.

الجدول الثالث يحتوى على أشكال الأيمان أو التأكيدات (Forms Oaths or Affirmations). يحتوي الجدول الرابع على أحكام تتعلق بتوزيع المقاعد في مجلس الولايات (Allocation of Seats in the Council of States). يحتوي الجدول الخامس على أحكام لإدارة وتدبير المناطق والقبائل المجدولة. يحتوي الجدول السادس على أحكام لإدارة وشؤون المناطق القبلية في ولايات آسام وميغاليا وتريبورا وميزورام.

يحتوي الجدول السابع على قائمة الاتحاد، وقائمة الولاية والقائمة المتزامنة (Concurrent list). يحتوي الجدول الثامن على قائمة اللغات المعترف بها. يحتوي الجدول التاسع على أحكام المصادقة على بعض الأفعال واللوائح (Validation of certain Acts and Regulations). يحتوي الجدول العاشر على أحكام لتنحية على ظروف العيب (Provisions as to Disqualification on ground of defections).يحتوي الجدول الحادي عشر على السلطات والصلاحيات والمسؤوليات للبانشايت (Panchayats) يحتوي الجدول الثاني عشر على السلطات والصلاحيات والمسؤوليات للبلديات.

التعديلات (Amendments)

كان الدستور الهندي الأصلي ٢٢ أجزاء و ٣٩٥ مادة وثمانية جداول وأربع ملحقات. وأضيفت في وقت لاحق ٣ أجزاء كتعديلات (٩- A البلديات، والمحاكم ١٤ A) ومواد مختلفة تحت هذه الأجزاء ٢٥ من الدستور وأربعة جداول بالتعديلات. ويبلغ في الوقت الحاضر مجموع عدد المواد حوالي ٤٥٠.

والدستور الهندي مزيج من الجمود والمرونة ، ونمكن من أن نقول إنه ليس له جامدية الدستور الأمريكي أو مرونة الدستور البريطاني. يمكن تعديله في ثلاث طرق، أولها: بعض الأحكام في الدستور يعدل بأغلبية بسيطة في كلا المجلسين للبرلمان، مثلا يمكن البرلمان من تشكيل ولاية جديدة أو

تغيير حدود ولاية أو اسمها بتقديم المشروع في كلا المجلسين وإجازته بالأغلبية. ويكون قانونا بإمضاء الرئيس.

وثانيها: يمكن البرلمان، طبقا للإجراءات التي ذكرت في البند الثامن والستين وثلاث مأة (٣٦٨)، من تعديل أي نظام بإلحاق أو حذف أو رد أو تغيير. ويجوز بدأ إجراءات التعديل بتقديم مشروع قانون في أحد مجلسي البرلمان. فينبغي أن يقدم هذا المشروع في كل من المجلسين ويجيزه بالأغلبية وبأغلبية الثلثين من المصوتين في كلا المجلسين. وإذا أجازه رئيس الجمهورية يكون ذلك قانونا.

وثالثها : يمكن تعديل بعض أحكام محددة في الدستور بإجراء خاص، وتتعق هذه الأحكام بانتخاب الرئيس، وتمثيل بعض الولايات في البرلمان، والعلاقات بين المركز والولايات وغيرها. فينبغي أن يجيزه بعد الإجراءات التي ذكرت فوق للتعديل العادي أكثر المجالس التشريعية للولايات. وبعد ذلك يقدم للرئيس للإمضاء.

وكان التعديل الأول في ١٩٥١. وذلك كان لحل بعض المشكلات التي تنجمت عن حكم المحكمة العليا في قضايا بعض الولايات. وفيه عدلت المادة التاسعة عشر التي تأكد على الحرية – حرية التعبير وحرية الكلام، فاستطاعت الدولة أن تتدخل في تلك الحرية إذا أصابت مصالح الدولة.

والتعديل الثاني وقع في ١٩٥٢، في المادة التي تذكر عن تمثيل الولايات في البرلمان وهي المادة الحادية والثمانين.

وهكذا تعرض دستورنا لحوالي مأة تعديل حسب الحاجات والظروف، وذلك أيضا من ميزاتها، حيث إنه تمكن من حل مشاكل أمة كبرى بأقصى غاية التنوعات المذهلة والتناقضات العميقة المعجبة.

******

التدريبات

أجب في كلمة/ أكمل الآتية

١. ..... مؤسس الدولة المغولية
٢. متى أنشأ بريطانيا وكالة تجارية في سورت؟
٣. ..... شيد تاج محل
٤. هزم الانكليز تيبو سلطان سنة .....
٥. تشكل المؤتمر الوطني الهندي سنة .....
٦. يقع جاليان والا باغ في .....
٧. ..... ثاني أكبر دولة من حيث عدد السكان
٨. تنقسم جمهورية الهند إلى ..... أقاليم رئيسية
٩. معركة بانيبت (Panipat) سنة .....
١٠. فتح علي خان المعروف ب .....
١١. حادثة جاليان والا باغ سنة .....
١٢. ولد مهاتما غاندي سنة .....
١٣. النهر سبرمتي بولاية .....
١٤. "رولت آكت" سنة .....
١٥. وقعت ثورة ارحلوا عن الهند سنة .....
١٦. الدكتور بي. آر. أمبيدكر من أسرة منبوذة من طبقة.....
١٧. ولا يمكن أن يتجاوز عدد الأعضاء المنتخبين للوك سبها ..... عضوا
١٨. ويتكون راجيا سبها من ..... عضوا
١٩. الدستور الهندي الأصلي ..... أجزاء
٢٠. التعديل الثاني للدستور الهندي وقع سنة .....

اكتب مذكرة عن الآتية

١. الدولة المغولية
٢. جغرافية الهند
٣. الهند الحديثة
٤. استعمار الإنجليز على الهند
٥. ثورة ١٨٥٧؛ أسبابها ونتائجها

٦. النزعة الوطنية في الهند
٧. دور مهاتما غاندي في الحركة الوطنية
٨. النظام البرلماني في الهند
٩. لوك سبها
١٠. راجيا سبها
١١. مجلس الوزراء في الهند
١٢. أهداف الدستور الهندي
١٣. الحقوق الأساسية
١٤. حماية مصالح الأقليات
١٥. الواجبات الأساسية
١٦. الاتحاد
١٧. اللوائح والجداول
١٨. التعديلات

اكتب مقالة عن الآتية

١. الهند الحديثة
٢. الحركة الوطنية في الهند
٣. مهاتما غاندي والحركة الوطنية
٤. لجنة صياغة الدستور
٥. الجمهورية الهندية
٦. الحكومة المركزية
٧. الدستور الهندي

PART B

ENVIRONMENT STUDIES

UNIT 3

البيئة ومكوناتها ـ التأصيل الشرعي لرعاية البيئة ـ علم أصول الدين ورعاية البيئة علم السلوك ورعاية البيئة ـ علم الفقه ورعاية البيئة

البيئة ـ بعيدا عن التعريفات اللغوية والاصطلاحية – هي المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، و(يبوء) إليه إذا سافر أو اغترب بعيدا عنه. فهو مرجعه في النهاية ومثابته، شاء أم أبى. والبيئة تشمل البيئة الجامدة والحية.

إن رعاية البيئة وحمايتها وإصلاحها والمحافظة عليها، ليست أمرا دخيلا على علوم الإسلام والثقافة الإسلامية وليست من ابتكار الغرب في هذا العصر كما قد يتوهمه من لم يتعمق في معرفة تراثنا العلمي والحضاري الإسلامي. بل هي تتصل بعدد من العلوم الإسلامية الأصلية.

البيئة ومكوناتها

ما المراد بالبيئة؟

البيئة ـ بعيدا عن التعريفات اللغوية والاصطلاحية – هي المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، و(يبوء) إليه إذا سافر أو اغترب بعيدا عنه. فهو مرجعه في النهاية ومثابته، شاء أم أبى.

وهذه البيئة تشمل البيئة الجامدة والحية.

والبيئة الجامدة تشمل (الطبيعة) التي خلقها الله، و(الصناعية) التي صنعها الإنسان.

كما تشمل البيئة (الأرضية)، والبيئة (الفلكية) أو (السماوية) من الشمس والقمر والنجوم.

والبيئة الصناعية تشمل: ما يحفره الإنسان من أنهار، وما يغرسه من أشجار، وما يعبده من طرق، وما ينشئه من أبنية، وما يصنعه من أدوات وآلات، تصغر أو تكبر، للسلم أو للحرب.

والبيئة الحية تشمل الإنسان والحيوان والنبات.

وهذه البيئة الطبيعية – كما خلقها الله تعالى- تتميز بأمرين أساسيين:

الأمر الأول: أن هذه البيئة مهيئة بكل ما فيها لمصلحة الإنسان، وخدمة الإنسان، وتوفير حاجات الإنسان.

فقد كان الإنسان في الجنة- قبل أن يهبط إلى الأرض- مكفول الحاجات، مؤمن المطالب، دون أن يجهد جهده في تحصيلها، كما قال تعالى لآدم وزوجه محذرا له من عدوه إبليس اللعين: (يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى(١١٧) إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى(١١٨) وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى (١١٩) (طه: ١١٧-١١٩).

ولكن حين خرج آدم من الجنة، وهبط إلى الأرض، التي استخلف فيها، كان عليه أن يسعى إلى رزقه، ويشقى- كما ذكر القرآن- في تأمين في معيشته.

ومن فضل الله على الإنسان أنه حين حمله عبء تأمين عيشه بالكد والسعي، قد هيأ له كل الأسباب التي تعين على ذلك.

فالأرض قد هيئت لتكون مستقرا ومتاعا للإنسان، فجعلها الله ذلولا له (وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام) منذ خلقها (في أربعة أيام) (فصلت: ١٠) وقال تعالى: (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون(١٩) وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين(٢٠) (الحجر: ١٩-٢٠) وفي سورة أخرى يقول: (ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون(١٠) (الأعراف: ١٠)

ومن لوازم ذلك: أن الله جعل تربة الأرض خصبة قابلة للزراعة والإنبات، فلو كانت الأرض كلها من الصخر الجامد أو من الفضة أو الذهب، أو الماس، ما أمكن الإنسان زراعتها، وهذا معنى جعلها ذلولا.

ثم هيأ الله الماء الذي يحيى الأرض بعد موتها، وهو أساس الحياة للإنسان والحيوان والنبات، كما قال تعالى : (وجعلنا من الماء كل شيء حي) (الأنبياء: ٣٠) وقال تعالى: (وأنزلنا من السماء ماء طهورا(٤٨) لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا (٤٩) (الفرقان: ٤٨-٤٩).

وكما أنزل الله الماء من السماء- وهو المطر- سخر للناس الأنهار تجري من تحتهم، كما قال تعالى (وسخر لكم الأنهار) (إبراهيم : ٣٢).

ومن ذلك تسخير الشمس والقمر للإنسان قال سبحانه: (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار) (إبراهيم: ٣٣).

الأمر الثاني: أن هذه البيئة كلها بجوانبها المختلفة، يتفاعل بعضها مع بعض، ويتكامل بعضها مع بعض، وفق سنن الله تعالى في الكون.

فالشمس في السماء تعطي الأرض من ضوئها وحرارتها ما لا تقوم الحياة بدونه، وهي تعطي هذا العطاء بلا توقف ولا من ولا أذى، وفق نظام لا يتبدل.

وكذلك القمر يعطي نوره- الذي يستمده من الشمس- للأرض، كما يؤثر في ظاهرة المد والجزر، وكل هذا لخدمة الإنسان.

وبهذا امتن الله على عباده بقوله: (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار) (إبراهيم: ٣٣) وتأمل قوله تعالى (لكم) التي كررها في الآية، ليدلنا على أن هذه الأجرام العظيمة هيئت لمصلحة الإنسان المستخلف في الأرض. وقال تعالى: (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) (يونس: ٥) .

والأرض بغلافها الجوى، قد هيأها الله تعالى لسكنى الإنسان، منذ أهبط إليها آدم وزوجه (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) (الأعراف: ٢٤).

وقد جعل الله هذه الأرض ذلولا للإنسان ليمشي في مناكبها، ويأكل من رزقه تعالى، وجعلها للإنسان مهادا وفراشا وبساطا، فهي – مع كرويتها- ممدودة للإنسان، يمكن أن يصول فيها ويجول ، ويزرع ويغرس، ويبني ويصنع، فقد وضع الله فيها من العناصر اللازمة لحياة الإنسان، وهيأ فيها من الأسباب المعينة له على القيام بمهمته في الأرض، فهي مهيأة لإنبات النبات، وإعاشة الحيوان، وحياة الإنسان.

ومن قديم قال نوح لقومه ما حكاه عنه القرآن: (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا (١٥) وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا (١٦) والله أنبتكم من الأرض نباتا (١٧) ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا (١٨) والله جعل لكم الأرض بساطا (١٩) لتسلكوا منها سبلا فجاجا(٢٠) (نوح: ١٥-٢٠).

وقال تعالى ممتنا على خلقه: (والأرض بعد ذلك دحاها(٣٠) أخرج منها ماءها ومرعاها(٣١) والجبال أرساها (٣٢) متاعا لكم ولأنعامكم(٣٣) (النازعات: ٣٠-٣٢).

وفي الآية إشارة إلى أن ماء الأرض مخرج أساسا من الأرض، أي من بحارها وجوفها.

وقال تعالى: (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيئ حي أفلا يؤمنون(٣٠) وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون(٣١) (الأنبياء : ٣٠-٣١).

وقال سبحانه (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيئ موزون(١٩) وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (٢٠) وإن من شيئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم(٢١) (الحجر: ١٩-٢١).

وفي هذه الآيات إشارتان في غاية الأهمية:

الأولى: قوله تعالى: (من كل شيئ موزون) فهي حقيقة علمية، دلت عليها حقائق العلم الحديث: أن كل نبات مكون من عناصر محددة من المعادن والأملاح والماء وغيرها وهي موزونة بالجرام والملي جرام.

والثانية: أن هذا الكون لا يسير جزافا، ولا يمشي اعتباطا، بل كل شيئ فيه بمقدار وحساب وميزان، فلو زادت كمية الماء في البحار عما هي عليه، أو نقصت ولو زاد حجم الكرة الأرضية عما هو عليه، أو نقص، ولو زادت سرعة دوران الأرض حول نفسها أو حول الشمس أو نقصت، ولو زادت سرعة دوران الأرض حول نفسها أو حول الشمس أو نقصت، ولو زادت كمية الأكسجين عما هي عليه أو نقصت.. الخ هذه الاحتمالات.. لو حدث ذلك ما قامت الحياة على الأرض.

وقال تعالى: (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج (٧) تبصرة وذكرى لكل عبد منيب (٨) ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد (٩) والنخل باسقات لها طلع نضيد (١٠) رزقا للعباد) (١١) (ق: ٧-١١).

ولا ينافي تنزيل الماء المبارك من السماء أنه مخرج أصلا من الأرض. فهو يخرج ويتبخر ويصعد إلى أعلى، ويكون السحاب المسخر بين السماء والأرض، ومن هذا السحاب ينزل الماء، وهو من جهة السماء، لا من السماء نفسها، كما هو معلوم اليوم لتلاميذ المدارس.

وقد قال الشاعر العربي قديما في ممدوحه:

كالبحر يمطره السحاب، وماله فضل عليه ؛ لأنه من مائه!

وقد امتن الله تعالى في آيات عدة بتسخير البحر للإنسان، كما في قوله تعالى: (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢) وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (١٣) (الجاثية: ١٢-١٣)

والبحر في اللغة يشمل العذب والمالح، كما قال تعالى: (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجر محجورا) (الفرقان : ٥٣).

وبهذا نرى التكامل والتعاون بين السماء والأرض في خدمة الإنسان: السماء بشمسها وقمرها ونجومها، والأرض بمائها وبحارها وأنهارها ونباتها وحيوانها. كما قال الله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) (النازعات: ٣٣).

واقرأ هذه الآيات التي بين فيها القرآن كيف يهيأ الطعام للإنسان، والمكونات الأساسية لإعداده له، يقول تعالى: (فلينظر الإنسان إلى طعامه (٢٤) أنا صببنا الماء صبا (٢٥) ثم شققنا الأرض شقا (٢٦) فأنبتنا فيها حبا (٢٧) وعنبا وقضبا (٢٨) وزيتونا ونخلا (٢٩) وحدائق غلبا (٣٠) وفاكهة وأبا(٣١) متاعا لكم ولأنعامكم (٣٢). (عبس: ٢٤-٣٢).

ولقد عرفنا العلم الحديث كيف تتكامل المملكة الحيوانية، وكيف تصدر إحداها إلى الأخرى ما تستغني عنه، وتستورد منها ما تحتاج إليه، فهذه تتنفس ثاني أكسيد الكربون، وتفرز الأكسجين، ولا تقوم حياتها بغير ذلك، والأخرى عكسها تماما، فلو كان الجميع يحتاج الأكسجين مثلا، لنفدت الكمية المخلوقة منه، وهلكت المملكتان معا، ولكن الله الذي خلق الجميع، نظم التعامل بين المملكتين على هذا النحو الرائع.

والأمر المهم والضروري في البيئة أن تظل عناصرها ومكوناتها الأساسية والكبرى متكاملة متعاونة فيما بينها، يؤدي كل منها دوره الذي خلقه الله له، دون أن يجور على غيره، ولا يجور عليه غيره، ويعطي غيره، كما يأخذ منه، وبهذا يأخذ حقه، ويؤدي واجبه.

وما أجمل ما قاله العلامة المناوي في (فيض القدير) في شرح حديث "مانع الزكاة يوم القيامة في النار".

"واعلم بأن الوجود كله متعبد لله على أداء الزكاة. انظر إلى الأرض التي هي أقرب الأشياء إليك تجدها تعطي أقرب الخلق إليها – وهم من على ظهرها- جميع بركاتها، لا تبخل عليهم بشيئ ما عندها، وكذا النبات يعطي ما عنده، وكذا الحيوان والسماء والأفلاك، الكل متعاون بعضه لبعض، لا يدخر شيئا مما عنده في طاعة الله؛ لأن الوجود كله فقير بعضه إلى بعض، قد لزم الفقر وشملته الحاجة، فعطف بعضه على بعض. وإعطاؤه ما عنده هو زكاته. مانع الزكاة قد خالف أهل السماء والأرض وجميع الموجودات، فلذلك وجب قتاله وقهره في الدنيا وأدخل النار في العقبى".

******

التأصيل الشرعي لرعاية البيئة

إن رعاية البيئة وحمايتها وإصلاحها والمحافظة عليها، ليست أمرا دخيلا على علوم الإسلام، والثقافة الإسلامية، وليست من ابتكار الغرب في هذا العصر، كما قد يتوهمه من لم يتعمق في معرفة تراثنا العلمي والحضاري الإسلامي.

بل الحقيقة الجلية: أن رعاية البيئة تتصل بعدد من علومنا الإسلامية الأصلية. ورعاية البيئة

- تتصل بعلم أصول الدين، أو علم التوحيد.
- تتصل بعلم السلوك والتزكية أو علم التصوف.
- تتصل كذلك بعلم الشريعة أو علم الفقه.
- تتصل أيضا بعلم أصول الفقه ومقاصد الشريعة.
- تتصل أخيرا بعلوم القرآن والسنة.

علم أصول الدين ورعاية البيئة

أما علم أصول الدين، فيتصل برعاية البيئة، من حيث إنه يجعل كل مكونات البيئة وعناصرها الجامدة والحية، العاقلة وغير العاقلة: كلها مخلوقات ساجدة لله تعالى، مسبحة بحمده.

فهي تشترك مع الإنسان في المخلوقية لله تعالى، كما قال سبحانه في كتابه: (خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون(٣) خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين(٤) والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون (٥) ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون(٦) وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم(٧) والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون(٨) (النحل: ٣-٨).

وهي تشترك مع الإنسان في سجودها لله تعالى، والانقياد لأمره، والإذعان لسنته في الخلق، كما قال تعالى: (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) (الرعد: ١٥) (أولم يروا إلى ما خلق الله من شيئ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون(٤٨) ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون (٤٩) (النحل:٤٨-٤٩).

وهي كذلك تشترك مع الإنسان في تسبيحها لله رب العالمين، وإن كنا لا نفقه تسبيحها، كما قال تعالى:(سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم) (الحشر:١) (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير) (التغابن :١)

وقال تعالى: (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) (الإسراء: ٤٤).

ولكن الله تعالى ميز الإنسان على سائر مكونات البيئة بما وهبه من العقل والملكات الروحية، التي أهله بها ليكون خليفة في الأرض، حاملا أمانة التكليف فيها، وهي الأمانة التي صورها القرآن بقوله: (إنا

عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) (الأحزاب: ٧٢).

ولقد خلق الله الإنسان على طبيعة مزدوجة ، ففيه العنصر الطيني الذي يجعله أهلا لعمارة الأرض، وفيه العنصر الروحي الذي جعله يستحق التكريم والخلافة، كما قال تعالى: (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين(٧١) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين(٧٢) (ص: ٧١-٧٢). (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرا ممن خلقنا تفضيلا) (الإسراء: ٧٠). وقال تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) (البقرة: ٣٠).

وقد عقد الله امتحانا لآدم والملائكة ثبت فيه تفوق آدم في المجال العلمي على الملائكة ، وبذلك استحق أن يكون خليفة في الأرض. (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين(٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم(٣٢) قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (٣٣) (البقرة: ٣١-٣٣).

دور الإنسان في البيئة:

ودور الإنسان هنا هو الدور الأساسي والرئيس، فكل ما في البيئة من مكونات مسخر له، وعليه أن يتعامل معها بما لا يجافي سنن الله في خلقه، ولا أحكام الله في شرعه، فيأخذ منها ويعطيها، ويرعى لها حقها، لتؤتي له حقه، ويتمثل هذا الدور الإنساني في مهام ثلاثة، تعتبر هي الأهداف الكبرى للحياة الإنسانية، أو كما عبر الإمام الراغب الأصفهاني ، هي مقاصد الله تعالى من المكلفين:

المقصد الأول: عبادة الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (الذاريات :٥٦) والعبادة تشمل كل ما يحيه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، فهي تستوعب كل مجالات الحياة.

والمقصد الثاني : الخلافة لله في الأرض، وإليه الإشارة بقوله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة) (البقرة: ٣٠) وخلافة الله إنما تتم بإقامة الحق والعدل، ونشر الخير والصلاح، كما قال الله لداود :(يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) (ص: ٢٦).

والمقصد الثالث: عمارة الأرض، وإليه الإشارة بقوله تعالى: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) (هود: ٦١) ومعنى (استعمركم): طلب إليكم أن تعمروها.

وعمارة الأرض إنما تتم بالغرس والزرع والبناء، والإصلاح والإحياء، والبعد عن كل فساد أو إخلال.

وهذه المقاصد كلها متداخلة ومتكاملة ومتلازمة، فعمارة الأرض تدخل في الخلافة، وكلتاهما ضرب من العبادة لله تعالى، كما أن العبادة تدخل في الخلافة، فلا خلافة بلا عبادة.

فلو قام الإنسان بهذا الدور، وحقق هذه المقاصد، لسعد الإنسان وأسعد من حوله، وأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، كما قال الله تعالى: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) (الأعراف: ٩٦) وقال: (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) (النحل: ٩٧).

علم السلوك ورعاية البيئة

وأما علم السلوك والتزكية أو علم التصوف، وصلته بالبيئة ورعايتها، فلأن هذه الرعاية تدخل في دائرة (الخلق) الذي هو أحد ركني التصوف. كما عرفه أحدهم فقال: هو الصدق مع الحق، والخلق مع الخلق. ولا ريب أن البيئة من جملة الخلق.

وقال بعض المتقدمين من المشايخ: التصوف كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في التصوف. وعلق على ذلك الإمام ابن القيم فقال : بل الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في الدين.

وقال الكتاني: التصوف هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليه في التصوف.

ولعل مما يؤيد هذا الحديث النبوي القائل: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق "أو" مكارم الأخلاق". رواه ابن سعد والبخاري في الأدب المفرد.

وقال بعضهم : الدين كله في قوله تعالى: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) (النحل: ١٢٨).

فالدين مجموع هذين الأمرين: التقوى مع الله، والإحسان مع خلقه.

على أن كلا من التقوى والإحسان يمكن أن تكون مع الله، ومع الناس. فالمكلف عليه أن يتقي الله في كل شيء، وفي التعامل مع كل شيء، ومنه الصحيح "إن الله كتب الإحسان على كل شيئ". ومنه الإحسان مع الله تعالى، كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم، كما في حديث جبريل: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

ومن أعظم التوجيهات الإسلامية بالنسبة إلى البيئة: الإحسان بالبيئة بكل عناصرها: الإحسان بالإنسان، والإحسان بالحيوان، والإحسان بالنبات، والإحسان بالماء، والإحسان بالهواء..... الخ. كما سنوضح ذلك بعد.

الدين المعاملة:

لقد شاعت عند جماهير المسلمين هذه الكلمة التي غدت عندهم من الحقائق الدينية، وهي : الدين المعاملة، حتى جعلها بعضهم حديثا نبويا، وما هي بحديث، ولكن معناها صحيح، دل عليه القرآن والسنة.

وهم يريدون بهذه الكلمة: أن الدين ليس مجرد أداء الشعائر العبادية المعروفة، ثم تسيئ بعد ذلك معاملتك مع الخلق، مع الإنسان والحيوان، ومع الكون كله.

ومعنى أن الدين المعاملة: أن تحسن معاملتك في كل شيء: بدءا من المعاملة مع ربك، والمعاملة مع نفسك، أي ذاتك بكيانها الجسدي والعقلي والروحي، ومعاملتك مع الناس من حولك قريبهم وبعيدهم ، مسلمهم وكافرهم، ومع الكائنات من حولك: جامدها وحيها، صامتها وناطقها، عاقلها وغير عاقلها.

وقد رأينا القرآن الكريم يرد على اليهود دعواهم في حقيقة (البر) وهو يعني (التدين) حين أقاموا الدنيا وأقعدوها، من أجل تحويل المسلمين قبلتهم من القدس إلى مكة، أو من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ وأثاروا الشبهات والأقاويل حول القضية، ونزلت فيها آيات طويلة في سورة البقرة، كان فيها آية البر: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) (البقرة: ١٧٧)

فبين في هذه الآية: بر العقيدة، وبر العبادة ، وبر الخلق والسلوك، وأن هذا هو حقيقة الصدق وحقيقة التقوى. وليس مجرد التوجه إلى مشرق أو مغرب.

وفي القرآن تقرأ سورة الماعون: (أرأيت الذي يكذب بالدين(١) فذلك الذي يدع اليتيم (٢) ولا يحض على طعام المسكين(٣) فويل للمصلين(٤) الذين هم عن صلاتهم ساهون(٥) الذين هم يراءون (٦) ويمنعون الماعون(٧) (الماعون :١-٧)

فبينت السورة أن المكذب بالدين هو ذلك الإنسان الذي لا قلب له، والذي يسيء التعامل مع الضعفاء من الناس: الذي يدع اليتيم، يدفعه بعنف ويقهره، ولا يحث الناس على طعام المسكين، فلم يكتف الإسلام من الإنسان أن يطعم المسكين، بل عليه واجب اجتماعي آخر، وهو حض الآخرين وتحريضهم على إطعام المسكين. وإطعام المسكين: كناية عن رعاية ضروراته وحاجاته الأساسية كلها، فلا يقبل أن تطعمه وتدعه عاريا أو مشردا لا مأوى له.

وفي السنة النبوية، نجد تأكيد هذا المعنى في مثل قوله صلى الله عليه وسلم:" من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" رواه البخاري في كتاب الصوم عن أبي هريرة.

وفي الحديث الآخر: "رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر" رواه ابن ماجه عن أبي هريرة

وهذا إذا لم يثمر الصيام والقيام في نفسه تقوى الله، وحسن التعامل مع خلقه، فدل ذلك أن عبادته مدخولة، ولم تستكمل شرائطه.

ومن المعلوم لدى المسلمين: أن الإنسان المسلم يستطيع أن يحول أعماله كلها-حتى المباحات منها – إلى عبادات وقربات إلى الله تعالى، وذلك بالنية الصالحة. بمعنى أن ينوي بعملة ابتغاء وجه الله تعالى ومثوبته في الآخرة، فهذا هو الذي يجعل عمله الدنيوي من زرع وغرس وعمارة للأرض، وقيام بصنعة واحتراف: عبادة لله تعالى إذا أتقن عمله ووفاه حقه، ولم يشغله عن واجب.

بل يمكنه أن يجعل من أكله وشربه ومباشرته لزوجته: طاعة وعبادة لله تعالى، إذا صحت نيته. كما جاء في الحديث الصحيح: "وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له

فيها أجر؟ قال: أليس إذا وضعها في حرام كان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر" رواه مسلم.

وبهذه الروح، وبهذه النية، يتعامل المسلم مع البيئة ومكوناتها من حوله، فهو يتعبد لله سبحانه برعايتها، ويتقرب إليه بكل ما يقدمه صيانة لها، ورفقا بها وإصلاحا لها. من كل ما سنتحدث عنه: من التشجير والتخضير، ومن الإحياء والتعمير، ومن النظافة والتطهير، ومن الرفق والإحسان، ومن المحافظة على موارد البيئة وثرواتها، والمحافظة عليها من كل أنواع الإضاعة والإتلاف، والإفساد في الأرض.

ولذا قال تعالى: (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين) (الأعراف: ٥٦).

فقرن في الآية الكريمة النهي عن الإفساد في الأرض- مثل تلويث البيئة والإخلال بتوازنها- بدعاء الله تعالى خوفا وطمعا، وهو ربط للعبادة بالمعاملة، ثم بينت الآية أن رحمة الله قريب من المحسنين، سواء كان إحسانهم في إصلاح الأرض وعمارتها أم في حسن الدعاء لله والتعبد له. فهؤلاء المحسنون هم الذين تقترب منهم رحمة الله عزوجل.

الود والحب للبيئة:

ومن أجمل ما جاء به الإسلام في علاقة الإنسان بالبيئة وبالكون عامة من حوله:

إنشاء عاطفة الود والحب لما حول الإنسان من كائنات جامدة أو حية، فالأحياء من الدواب والطيور يراها أمما أمثالنا، لكل أمة خصائصها وطرائقها، كما نبه على ذلك القرآن الكريم بقوله: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) (الأنعام: ٣٨).

وغير الأحياء من الكائنات يراها ساجدة مسبحة لله تعالى، كما قال تعالى: (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) (الحج: ١٨).

وقال سبحانه: (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) (الإسراء: ٤٤)

فلا عجب أن يضمر لهذه الكائنات الساجدة المسبحة لله: الود والحب، لأنها تعبد الله تعالى، كما يعبده هو.

وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الود وهذا الأنس بهذه المخلوقات بهذا الحديث الرائع الذي قاله وهو عائد إلى المدينة من غزوة تبوك، وقد أشرف على المدينة، ولاح له جبل أحد، فقال: "هذه طابة، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه" متفق عليه عن أبي حميد كما في اللؤلؤ والمرجان.

هذا مع أن هذا الجبل وقعت بجواره غزوة أحد، التي استشهد فيها سبعون من المسلمين، على رأسهم عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وربما لو كان أحد غيره لتشاءم من هذا الجبل، ولكنه عبر عن عاطفته نحوه بهذه الجملة المبينة الرائعة "يحبنا ونحبه" فكأنما جعل من الجبل كائنا حيا عاقلا له قلب يحس ويحب، فلم يكتف بأنه يحب أحدا، بل قال عن الجبل" يحبنا" فمال أجملها وأروعها وأصدقها من علاقة.

فأي أنس بالبيئة، وأي إيناس لها أوضح مما دل عليه هذا التعبير النبوي الجميل.

وكان الصحابة رضي الله عنهم، يتعاملون مع البيئة بهذا الود والحنين، كما نرى في حنين بلال إلى مكة وأوديتها ومياهها وجبالها ونباتاتها، وشوقه إليها، وإنشاده في ذلك:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد، وحولي إذخر وجليل؟

وهل أردن يوما مياه مجنـة؟ وهل يبدون شامة وطفيل؟

وكل هذه الأشياء في مكة كون هذا الصحابي الجليل عاطفة نحوها كأنها عاطفة المحب العاشق لمن يهواه.

علاقة المسلم بالكون من حوله:

وإن علاقة المسلم بالكون من حوله لهي علاقة متميزة.

الكون آية :

فهو ينظر إلى الكون بوصفه آية من آيات الله جل جلاله، فكل ما فيه يدل على الله تعالى دلالة الصنعة على الصانع، والأثر على المؤثر، كما قال تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) (آل عمران: ١٩٠).

وقال تعالى: (سبح اسم ربك الأعلى(١) الذي خلق فسوى(٢) والذي قدر فهدى(٣) (الأعلى: ١-٣) وهذه الأعمال الأربعة وآثارها من أدل الدلائل على الله تبارك وتعالى: الخلق، والتسوية، والتقدير والهداية، والحديث عن كل منها يطول.

وقد قال علماؤنا قديما: الكون هو المصحف الصامت، والقرآن هو المصحف الناطق. أو الكون هو الكتاب المنظور، والقرآن هو الكتاب المسطور.

وقال الشاعر:

تأمل سطور الكائنات، فإنـــها من الملإ الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها لو تأملت سطرها:ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وعلاقة المسلم بالكون هنا، تتمثل في (الاعتبار والتأمل والنظر والتفكر) كما قال تعالى: (أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون) (الأعراف: ١٨٥).

(قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) (يونس: ١٠١).

الكون نعمة:

وينظر المسلم إلى الكون أيضا بوصفه نعمة من الله تعالى عليه، أو قل: إنه حافل بنعم الله التي أسبغها على الإنسان ظاهرة وباطنة. كما قال تعالى : (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) لقمان : ٢٠).

وفصل بعض هذه النعم في بعض الآيات، كما في قوله تعالى في سورة إبراهيم: (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءا فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار(٣٣) وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار(٣٤) (إبراهيم: ٣٢-٣٤).

فإذا كان الغربيون يعتبرون أساس المشكلة الاقتصادية هو قلة الموارد في مقابل كثرة البشر المتزايدة، فإن القرآن يرى أن نعم الله لا يمكن إحصاؤها، وأن موارده في الكون غزيرة، ولكن المشكلة تكمن في الإنسان الظلوم الكفار.

فهو الذي يمكن أن يسبب الخلل في الكون وفي أرزاق الخلق بظلمه وتجاوزه، أو ببطره وكفرانه بالنعمة.

ومن هنا لا يمكن علاج ضعف التربة أو نقص الموارد أو غير ذلك ما لم تعالج ضعف الإنسان من داخله، ودخول الظلم والكفران عليه.

وفي القرآن سورة تسمى (سورة النحل) وقد سماها بعض السلف (سورة النعم) لأن الله تعالى ذكر فيها كثيرا من نعمه على عباده، منها : الأنعام (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون(٥) ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون(٦) وتحمل أثقالهم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم(٧) (النحل: ٥-٧).

ومنها: دواب الركوب (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) (النحل:٨)

ومنها: الماء الذي به حياة الإنسان والحيوان والنبات. (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون (١٠) ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (١١) (النحل: ١٠-١١).

ومنها: ما سخر الله للإنسان من عالم الأفلاك وعالم الأرض (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (١٢) وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون (١٣) (النحل: ١٢-١٣).

ومنها عالم البحار الذي يشمل ثلاثة أرباع الكرة الأرضية (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) إلى قوله: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم) (النحل: ١٤-١٨).

وهنا تجمع هذه السورة فيما ذكرت بين اعتبار هذه الأشياء (آية) دالة على الله تعالى، لقوم يتفكرون، أو لقوم يعقلون، أو لقوم يذكرون، وبين اعتبارها نعمة تستوجب الشكر (ولعلم تشكرون).

فالمسلم يتعامل مع الكون بالاعتبار تارة، وبالشكر تارة أخرى، يقول تعالى في نعمة النبات والزرع: (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون(٣٣) وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون(٣٤) ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون(٣٥) (يس: ٣٣-٣٥).

وفي نفس السورة يذكر نعمة الأنعام: (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون(٧١) وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون(٧٢) ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون(٧٣) يس ٧١-٧٣) وتكرار هذه الفاصلة (أفلا يشكرون) لتأكيد طلب الشكر، والحض عليه.

وشكر النعمة هو استخدامها فيما خلقت له، وهو ما يعين الناس على تحقيق أهدافهم الدنيوية والأخروية، وهو الذي يؤدي إلى حفظ النعم، بل زيادتها ونمائها، وفق سنن الله تعالى.

يقول تعالى: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) (إبراهيم:٧).

وهذه النظرة إلى الكون لها أهميتها في نفس الإنسان وفكره ووجدانه، فالكون ليس إلها، يرجى ويخشى، كما تصوره بعض الديانات، التي تؤلهه أو تؤله أجزاء منه، مثل الشمس والقمر والنجوم في السماء، ومثل بعض الجبال أو الأنهار، أو الأشجار، أو الحيوانات في الأرض.

والكون ليس عدوا للإنسان يريد أن (يقهره)، كما يعبر الغربيون عادة عن (قهر الطبيعة).

بل هو مخلوق مسخر للإنسان، ولخدمة الإنسان، ومنفعة الإنسان(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) (البقرة: ٢٩) (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) (الجاثية: ١٣).

فهو يشترك مع الإنسان في مخلوقيته لله تعالى، ويشترك مع المسلم في سجوده وتسبيحه لله جل شأنه (يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير) (التغابن:١) (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) (الحج: ١٨) فهذه المخلوقات كلها في العالم العلوي والعالم السفلي، ساجدة لربها سبحانه. ما عدا الناس فكثير منهم الساجد، ومنهم من لا يسجد، ومنهم من لا يسجد له تعالى، جاحدا أو مشركا. وقد نقلنا في الفصل السابق عن الإمام المناوي أن الكون كله متعبد لله تعالى.

الاستمتاع بالجمال في الكون:

ومن روائع التعاليم الإسلامية: التنبيه على (الجانب الجمالي) في هذا الكون، ليستمتع الإنسان به، ويغذي وجدانه، كما يستمتع ب(الجانب النفعي) الذي يغذي جسمه، ويحقق مصلحته.

فمن الطيبات التي أحلها الله لعباده وامتن بها عليهم في كتابه: طيبات الجمال والزينة.

فقد قال تعالى في معرض الإنكار على الذين حرموا الزينة والطيبات من الرزق: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين(٣١) قل من حرم زينة الله التي أخرج

لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) (الأعراف: ٣١-٣٢).

أمر الله بني آدم بأخذ الزينة، كما أمرهم بالأكل والشرب، ليتحقق في الحياة عنصر الجمال بالزينة، وعنصر البقاء بالطعام والشراب، فلم يقصر الإسلام اهتمامه على ما ينفع، بل شمل ما ينفع وما يلذ معا.

وقد لفت القرآن الأنظار إلى عنصر الجمال والزينة في الحياة في أكثر من موضع، كقوله تعالى في معرض الامتنان بفوائد الأنعام: (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون(٥) ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون (٦) (النحل: ٥-٦) إلى أن يقول عن دواب الركوب: (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) (النحل: ٨).

فانظر كيف اهتم كتاب الله بذكر الجمال والزينة، في سياق ذكر المنافع المادية المباشرة، ليرقى بالذوق الإنساني، ويغرس في وجدان المسلم الشعور بالجمال، والإحساس بنعمة الله تعالى فيه.

وبعد ذلك بآيات قليلة في السورة نفسه، قال تعالى: (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) (النحل: ١٤)، فالحلية شيء جميل لا شيء نافع كأكل لحم السمك الطري. ومثل ذلك قوله تعالى: (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) (الرعد: ١٧)، فالمعدن يطرق أو يصهر أو يصقل بواسطة النار ابتغاء أمرين: إما الانتفاع به في صناعة أو زراعة أو حرب ونحو ذلك وهذا هو المتاع، وإما ابتغاء التجمل والتزين كالسوار والطوق والخاتم والقرط وغيرها، وهذا هو الحلية ، ومما له دلالة هنا: أن القرآن قدم الحلية على المتاع.

إن القرآن في عرضه لخصائص الأشياء، وما تقدمه من خدمة للناس، يعنى بعنصر الجمال مع عناصر النفع الاقتصادي، كقوله تعالى في معرض الامتنان بالماء وما يحيا به من الزرع والنبات والشجر: (فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) (النمل: ٦)، (وترى الأرض هامدة فإذا

أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) (الحج: ٥). (والنخل باسقات لها طلع نضيد) (ق: ١٠)، فالبهجة في الحدائق، وفي أزواج النبات، وفي طلع النخل المنضد، كلها عناصر جمال ينبه عليها القرآن المجيد، ويوجه إليها المشاعر والأحاسيس، لتدرك من ورائها جمال صانعها وكماله: (صنع الله الذي أتقن كل شيء) (النمل: ٨٨)، (الذي أحسن كل شيء خلقه) (السجدة:٧).

والكواكب يذكر القرآن منافعها من الهداية للسارين، والرجم للشياطين، ولا ينسى عنصر الجمال فيها، حين يذكر في غير سورة أن الله قد زين بها السماء: (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) (الصافات: ٦)، (وزيناها للناظرين) (الحجر: ١٦)، (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) (الملك:٥).

فإذا كان الشاعر يرى الجمال في كل شيء بحاسته الشاعرية الفنية، فإن المؤمن يرى الجمال في كل شيء، بحاسته الإيمانية الروحية، التي يرى بها جمال الصانع فيما صنع (صنع الله الذي أتقن كل شيء) (النمل:٨٨).

٣ – علم الفقه ورعاية البيئة

وأما علم الفقه وعلاقته برعاية البيئة وحمايتها والمحافظة عليها من كل ما يضربها ويفسدها، فهي علاقة واضحة المعالم.

فعلم الفقه هو العلم الذي ينظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة الإنسان بأسرته ومجتمعه، وعلاقة الإنسان بالكون من حوله، وفق الأحكام الشرعية الخمسة المعروفة، وهي: الوجوب والاستحباب، والحرمة، والكراهية، والإباحة.

ومن ثم قرر فقهاء الإسلام: أن الشريعة الإسلامية حاكمة على جميع أفعال المكلفين، بحيث لا يخلو فعل من الأفعال عن حكم من هذه الأحكام الشرعية. فلا غرو أن تستوعب شئون الدنيا والآخرة، وتضم العبادات والمعاملات، وتشمل العلاقة بالخالق والعلاقة بالخلق، وتضم في رحابها الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية والثقافة، وكل ما يتصل بالحياة الإنسانية.

وقد سألني أحد الناس، وأنا متوجه إلى المنتدى العالمي الأول للبيئة من منظور إسلامي، وقلت له: إنني عضو في اللجنة الاستشارية العليا لهذا المنتدى، وإني أعددت بحثا في هذا الشأن ، أرجو أن أوسعه حتى يكون كتابا، فقال لي في عجب ودهشة: وهل للإسلام دخل في البيئة وحمايتها؟ قلت له: نعم، له دخل كبير، وله أحكام وتعاليم شتى. وأشرت له إلى شيئ ، هذه التعاليم ، وبعضها في غاية الوضوح، فعجب كيف جهل هذا؟ وكيف لا يعلم هذا لأبنائنا وبناتنا؟

والواقع أن كل من له خبرة بالفقه الإسلامي، واطلاع على مصادره، سواء الفقه المذهبي أم الفقه العام أو المقارن، يتبين له أن للبيئة صلة عميقة وواسعة بهذا الفقه، وبكثير من أبوابه.

فأول ما يتصل بالبيئة من الفقه تجده في كتاب (الطهارة) كما يتضح ذلك في جملة أحكام ثبتت بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وإجماع الأمة.

ونجد للبيئة ورعايتها علاقة بالصلاة وأحكامها، وعلاقة بالزكاة والصدقات والأوقاف.. وما إليها.

ونجد للبيئة ورعايتها علاقة بالحج والحرم والإحرام، وتحريم الصيد وقطع النباتات ونحوها مما يتصل بما يسمى (البيئة المحمية).

ونجد للبيئة علاقة ب(حياء الموات) في فقه المعاملات.

ونجد للبيئة ورعايتها علاقة بالزرع والغرس والمزارعة والمساقاة.

ونجد للبيئة ورعايتها علاقة بالبيوع وما يتصل بها، وبيع الماء ونحوه، وتملك الماء والكلأ والنار والملح وما فيها من أحكام.

ونجد للبيئة ورعايتها علاقة بكتاب النفقات، وخصوصا على البهائم وما لها من حقوق على ملاكها، وما الواجب إذا أضاعوها وأهملوا فيها.

ونجد للبيئة علاقة بالجهاد، وماذا يباح فيه من إتلاف وما لا يباح.

إلى آخر هذه الأبحاث المتصلة بالبيئة، وتدخل في أبواب متفرقة من أبواب الفقه، الذي ينظم الحياة الإسلامية كلها بأحكام الشرع، ويقود الدورة الحضارية للأمة المسلمة، باعتبارها أمة صاحبة رسالة ومنهج متميز.

على أن الفقه لا يتصل بالبيئة بوصفه(أحكاما) فقط، بل يتصل بالبيئة اتصالا وثيقا بوصفه (قواعد كلية) كذلك.

فمما لا يرتاب في فقيه: أن القواعد الفقهية الشهيرة التي ألفت فيها كتب كثيرة ، قديمة وحديثة، يدخل كثير منها في أمر البيئة ، وينظمها ويحميها، ويوفر لها الرعاية المنشودة.

ومن أشهر هذه القواعد: قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) وهي مأخوذة من نص حديث نبوي، صححه العلماء بمجموع طرقه، ولكن الحديث نفسه مقتبس من نصوص آيات قرآنية عدة، تنفي الضرر والضرار، كقوله تعالى في نفي الضرر: (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) (النساء: ٢٩) وقوله: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (البقرة: ١٩٥) وفي نفي الضرار قال تعالى: (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له

بولده) (البقرة: ٢٣٣) (ولا يضار كاتب ولا شهيد) (البقرة: ٢٨٢) (ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا) (البقرة: ٢٣١).

وهذه القاعدة الكلية يتفرع عنها قواعد جزئية شتى قررها الفقهاء. مثل قولهم:

الضرر يزال بقدر الإمكان (ولا سيما الضرر الفاحش).

الضرر لا يزال بضرر مثله (بله بما هو أكبر منه).

الضرر يدفع بقدر الإمكان.

يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى.

يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام.

الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف.

إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما.

يختار أهون الشرين.

درء المفاسد أولى من جلب المنافع.

وهذه من القواعد الشرعية التي اعتمدتها (مجلة الأحكام العدلية) وجعلتها في مقدمة موادها التي قننت بها جوانب المعاملات في الفقه الحنفي، ورتبت عليها أحكاما شتى.

ومثل ذلك قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) وهي قاعدة مستنبطة من نصوص القرآن الكريم في خمس آيات، بعضها في القرآن المكي، مثل قوله تعالى في سورة الأنعام: (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه) (الأنعام: ١١٩).

وقوله في السورة نفسها: (قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم) (الأنعام: ١٤٥).

وجاء هذا التحريم واستثناء حالة الضرورة في سورة النحل المكية أيضا.

وجاء التحريم والاستثناء في سورة البقرة في قوله تعالى: (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور الرحيم) (البقرة: ١٧٣).

وكذلك جاء في سورة المائدة وهي من أواخر ما نزل من القرآن.

وقد تفرع عن هذه القاعدة عدة قواعد أخرى منبثقة منها.

مثل قاعدة: (الضرورات تقدر بقدرها). وبعضهم يصوغها بقوله: (ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها).

وكذلك قاعدة: (الاضطرار لا يبطل حق الغير).

وقاعدة: (الحاجة تنزل منزلة الضرورة، خاصة كانت أو عامة).

وقاعدة : (ما جاز لعذر بطل بزواله).

وقاعدة : (إذا زال المانع عاد الممنوع).

وهذه كلها أيضا من قواعد المجلة، وهي منصوص عليها في كتب الأشباه والنظائر للسيوطي الشافعي وابن نجيم الحنفي.

وهذه القواعد وأمثالها، وهي كثرة معروفة ، لها وزنها وأهميتها حينما نريد أن نقنن الأحكام المتعلقة برعاية البيئة والحفاظ عليها، فسنرى أننا في أشد الحاجة إليها عند إصدار تقنين حديث للعناية بالبيئة من منظور إسلامي.

ومن المعلوم: أن العقوبات في الشريعة نوعان: عقوبات محددة منصوص عليها في جرائم معينة، وهي المعروفة في الفقه باسم الحدود والقصاص.

وعقوبات غير منصوص عليها، وهي العقوبات(التعزيرية). وهي المفوضة إلى رأي الإمام أو القاضي، وهذه العقوبة في كل معصية لا حد فيها ولا كفارة. وهي تشمل معاصي كثيرة، وخصوصا ما يتعلق بحقوق العباد ومصالحهم، فيدخل فيها الحفاظ على البيئة دخولا أوليا.

ويمكننا أن نقنن العقوبات التعزيرية في عصرنا هذا، ولا سيما في حق من يسيئون إلى البيئة، ويتعدون الحدود في التعامل معها ، من أصحاب المصانع والشركات الكبيرة، التي لا تبالي – في سبيل مكاسبها- أن تضر المجتمع كله.

والشريعة الإسلامية – بجميع مذاهبها وإجماع فقهائها- توجب حماية المجموع من تجاوزات الأفراد، وإن كان في ذلك حجر على حرياتهم الفردية، فإن حريتهم ليست مطلقة، بل هي مقيدة بأن لا تضر الآخرين.

وأصل هذا: الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن النعمان بن بشير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا :لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا"رواه البخاري .

فلم يعذر الذين في أسفل السفينة بحسن نيتهم، وأنهم قالوا: "لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا" لأن عملهم هذا يؤدي إلى غرق السفينة وأهلها جميعا، فوجب الأخذ على أيديهم حفاظا على مصلحة المجموع، ودفعا للضرر عنهم.

PART B

ENVIRONMENT STUDIES

UNIT 4

الركائز الإسلامية لرعاية البيئة

العناية بالتشجير وتخضير الأرض بالغرس والزرع هي من ركائز المحافظة على البيئة في الإسلام.

ومن عناصر رعاية البيئة ـ التشجير والتخضير ـ العمارة والتثمير ـ النظافة والتطهير ـ المحافظة على الموارد مثل الثروة الحيوانية ـ الثروة النباتية ـ الثروة البحرية ـ الثروة المعدنية ـ نهي الاسلام عن تلويث الماء.

الركائز الإسلامية لرعاية البيئة

التشجير والتخضير

من ركائز المحافظة على البيئة في الإسلام: العناية بالتشجير وتخضير الأرض بالغرس والزرع.

نقرأ هذا في القرآن الكريم في معرض امتنان الله على خلقه بما سخر لهم من أسباب الزرع والغرس والشجر والخضرة. فيقول تعالى : (وهو الذي أنزل من السماء ماءا فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) (الأنعام: ٩٩).

وفي نفس السورة يقول تعالى: (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (الأنعام: ١٤١).

وفي سورة أخرى يقول تعالى: (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (الرعد: ٤).

وفي سورة أخرى يقول سبحانه: (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون(١٠) ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون(١١) (النحل : ١٠-١١).

وقد تكرر هذا المعنى كثيرا في القرآن الكريم في سور شتى، ونبه فيها على عنصرين مهمين من فوائد الزرع والشجر والخضرة:

العنصر الأول: عنصر المنفعة. كما في قوله (كلوا من ثمره إذا أثمر) وقوله تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه (٢٤) أنا صببنا الماء صبا (٢٥) ثم شققنا الأرض شقا(٢٦) فأنبتنا فيها حبا (٢٧) وعنبا وقضبا(٢٨) وزيتونا ونخلا (٢٩) وحدائق غلبا (٣٠) وفاكهة وأبا (٣١) متاعا لكم ولأنعامكم (٣٢) (عبس: ٢٤-٣٢).

فانظر كيف جعل في هذه النباتات عنصر المتاع أي المنفعة للناس ولأنعامهم التي تخدمهم أيضا.

وقال تعالى : (أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منها أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) (السجدة: ٢٧).

فأرشد إلى منفعة الأكل من الزرع لهم ولأنعامهم معهم، بل قبلهم .

والعنصر الثاني : هو عنصر (الجمال). وهذا مما قد يتصور بعض الناس أن الإسلام لا يهتم به، ولا يجعل له اعتبارا، وهو وهم لا أساس له في القرآن ولا في السنة، فإن الله تعالى جميل يحب الجمال، كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد وضح هذا في آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل، كما في قوله تعالى : (أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون) (النمل: ٦٠).

فانظر إلى هذا التعبير المبين(حدائق ذات بهجة) أي ذات حسن وجمال، تبهج النفس والخاطر، وتسر العين والقلب.

وقوله تعالى: (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) (الحج:٥). والبهيج هو الحسن الجميل.

وقوله (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) (ق: ٧).

وقد ذكرنا قوله تعالى بعد الامتنان بذكر الزرع والنخيل والأعناب والزيتون والرمان: (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) (الأنعام: ٩٩). فأمرنا أن ننظر إلى الثمر اليانع، لنستمتع بمنظره الجميل.

وقال الإمام القرطبي في تفسيره: الزراعة من فروض الكفاية ، فيجب على الإمام (ولي الأمر) أن يجبر الناس عليها، وما كان في معناها من غرس الأشجار.

السنة تأمر بالغرس والزرع:

والأحاديث النبوية تؤكد هذا الأمر، وتزيد على ما في القرآن بما ورد فيها من الأوامر النبوية، والتوجيهات المحمدية بالغرس والزرع في جملة من الأحاديث الصحاح.

منها: ما رواه الشيخان عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة"

وروى مسلم عن جابر مرفوعا: "ما من مسلم يغرس غرسا، إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزأه أحد (أي لا ينقصه ويأخذ منه) إلا كان له صدقة".

وفي رواية له : "إلى يوم القيامة".

ومما يلفت النظر هنا: أن تكتب الصدقة والمثوبة للغارس والزارع، على ما أخذ من زرعه وثمره، وإن لم تكن له فيه نية، لمجرد اتجاهه إلى الغرس والزرع، فكل ما يستفاد منه لكائن حي له فيه ثواب.

وعن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذني هاتين يقول: "من نصب شجرة، فصبر على حفظها، والقيام عليها حتى تثمر، فإن له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل".

وروي أن رجلا مر بأبي الدرداء رضي الله عنه، وهو يغرس جوزة (شجرة جوز) فقال :أتغرس هذه وأنت شيخ كبير، وهي لا تثمر إلا في كذا وكذا عاما؟ فقال: أبو الدرداء: ما علي أن يكون لي أجرها، ويأكل منها غيري؟

وروى ابن جرير عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له أبي: أنا شيخ كبير أموت غدا فقال عمر : "أعزم عليك لتغرسنها"، فقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي . فعمر الخليفة الراعي المسئول يرى ألا تترك أرض صالحة للغرس والزرع دون أن يستفاد منها، وينبه أصحابه على ذلك، ويساعد بنفسه على ذلك . وهذه قمة الشعور بالمسئولة.

وروى البخاري في (الأدب المفرد) عن نافع بن عاصم أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول البن أخ له خرج من (الوهط): أيعمل عمالك؟ قال: لا ادري! أما لو كنت ثقفيا لعلمت ما يعمل عمالك. ثم التفت إلينا فقال: إن الرجل إذا عمل مع عماله في ماله كان عاملا من عمال الله عز وجل.

والوهط في اللغة هو البستان، ويطلق على أرض عظيمة كانت لعمرو بن العاص بالطائف، ويبدو أنه خلفها لأولاده، وقد روى ابن عساكر في تاريخه (٢٦٤/١٣) بسند صحيح عن عمرو بن دينار، قال : دخل عمرو بن العاص في حائط له بالطائف يقال له: (الوهط) فيه ألف ألف خشبة (مليون) اشترى كل خشبة بدرهم! يعنى ليقيم بها الأعناب.

فهذه عناية الصحابة بالغرس والتشجير، بفضل هذه التوجيهات القرآنية والنبوية التي حفزتهم إلى أن يخضروا الأرض، ويجعلوا منها حدائق ذات بهجة، تنبت من كل زوج بهيج.

وروى الإمام أحمد في مسنده والبخاري في (الأدب المفرد) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها".

وليس هناك حث وتحريض على الغرس والتشجير أقوى من هذا الحديث، لأنه يدل على الطبيعة المنتجة والخبرة للإنسان المسلم، فهو بفطرته عامل معطاء للحياة، كالنبع الفياض، لا ينضب ولا ينقطع، حتى إنه ليظل يعطي ويعمل، حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها، فلو أن الساعة توشك أن تقوم، لظل يغرس ويزرع، وهو لن يأكل من ثمر غرسه، ولا أحد غيره سيأكل منه، لأن الساعة تدق طبولها، أو ينفخ في صورها، فالعمل هنا يؤدي لذات العمل، لأنه ضرب من العبادة ، والقيام بحق الخلافة لله في الأرض إلى آخر رمق.

ولقد بين لنا العلم الحديث: أن التشجير له فوائد أخرى- غير ما عرفه الناس قديما من الثمر والظل وتخفيف الحرارة وغيرها- مثل المساعدة في حفظ التوازن البيئي، وامتصاص الضوضاء، ومقاومة الآثار الضارة للتصنيع على البيئة، أو التخفيف منها على الأقل.

العمارة والتثمير

ومن المقومات الأساسية للمحافظة على البيئة في نظر الإسلام : ما حث عليه التوجيه الإسلامي، وقام عليه التشريع الإسلامي: من عمارة الأرض، وإحياء مواتها، وتثمير مواردها وثرواتها.

حتى إن الإمام الراغب الأصفهاني اعتبر (عمارة الأرض) أحد مقاصد ثلاثة أساسية خلق لها الإنسان، مستمدا ذلك من نصوص القرآن الكريم ذاته. كما ذكرنا ذلك من قبل. وهذه المقاصد هي :

أولا: عبادة الله تعالى. كما قال عز وجل: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (الذاريات: ٥٦)

ثانيا: خلافة الله تعالى في خلقه، كما قال عز وجل: (إني جاعل في الأرض خليفة) (البقرة: ٣٠)

ثالثا: عمارة الأرض، كما في قوله تعالى على لسان نبيه صالح: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) (هود: ٦١) ومعنى : (استعمركم) أي طلب إليكم أن تعمروها.

ومن هنا كانت عمارة الأرض وإصلاحها، وحظر الإفساد فيها، مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء، ورسالات السماء.

ومن هنا جاء التنويه بهذا المقصد الكبير على لسان نبي الله صالح عليه السلام، وهو من أنبياء العرب، وقد أرسله الله إلى ثمود، الذي بوأهم الله في الأرض وهيأ لهم أسباب التقدم والرخاء: قال تعالى: (وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه) (هود: ٦١).

وفي مقام آخر ذكرهم بنعم الله تعالى وآلائه عليهم ، وحذرهم من الإفساد في الأرض، التي هيأها الله لهم ، فيقابلون النعمة بالكفران، قال تعالى على لسان صالح: (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) (الأعراف: ٧٤).

وهذا بعد أن دعاهم إلى التوحيد الذي هو الأساس الأول لدعوات الرسل جميعا. ولهذا نجدهم جميعا يقولون: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (هود: ٦١).

يقول العلامة أبو حيان في تفسير قوله تعالى: (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين):

"ذكر صالح قومه بما ذكر به هود قومه، فذكر أولا نعما خاصة، وهي جعلهم خلفاء بعد الأمة التي سبقتهم، وذكر هو لقومه ما اختصروا به من زيادة البسطة في الخلق، وذكر صالح لقومه ما اختصوا به من اتخاذ القصور من السهول، ونحت الجبال بيوتا، ثم ذكر أنعما عامة بقولهما: فاذكروا آلاء الله، ومعنى بوأكم في الأرض أنزلكم بها وأسكنكم إياها والمباءة المنزل في الأرض وهو من باء أي رجع".

وفي مقام آخر حذرهم صالح من القادة الزعماء الذين يقودونهم إلى الشر والإفساد في الأرض، وذلك ما ذكره القرآن الكريم في قوله لقومه: (فاتقوا الله وأطيعون(١٥٠) ولا تطيعوا أمر المسرفين(١٥١) الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون(١٥٢) (الشعراء: ١٥٠-١٥٢).

ونجد هذا التحذير من الإفساد في رسالة نبي الله شعيب، الذي بعثه الله إلى أهل مدين، فبعد أن دعاهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، دعاهم إلى إقامة العدل في معاملاتهم ، وترك الظلم والإفساد في الأرض، حتى لا ينزل بهم عذاب الله تعالى. اقرأ هذه الآيات الكريمة من سورة هود:

(وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط(٨٤) ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين(٨٥) (هود: ٨٤-٨٥).

وفي موقف آخر يقول: (قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشيائهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) ثم يقول : (واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) (الأعراف: ٨٦).

فحذرهم من عواقب المفسدين من قبلهم ، وكيف نزل بهم عقاب القدر الأعلى، الذي يمهل ولا يهمل، ويملي للمفسدين ثم يأخذهم أخذا أليما شديدا.

وقد ذكر بتفصيل في سورة هود: (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد) (هود: ٨٩). ذلك أن قوم لوط أقرب إليهم في المكان، وأقرب إليهم في الزمان.

وفي قصة موسى نقرأ قول الله تعالى: (وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) (البقرة:٦٠)

قال أبو حيان في تفسيره: لما أمروا بالأكل والشرب من رزق الله، ولم يقيد ذلك عليهم بزمان ولا مكان ولا مقدار من مأكول أو مشروب، كان ذلك إنعاما وإحسانا جزيلا إليهم، واستدعى ذلك التبسط في

المآكل والمشارب، وأنه ينشأ عن ذلك القوة الغضبية والقوة الاستعلائية- نهاهم عما يمكن أن ينشأ عن ذلك، وهو الفساد، حتى لا يقابلوا تلك النعم بما يكفرها، وهو الفساد في الأرض.

وقد اجتهد بعض المفسرين أن يحددوا نوع الفساد المنهي عنه في الآية الكريمة، فقال بعضهم معنى (ولا تعثوا في الأرض مفسدين): لا تتظالموا؛ لأن كل سبط منكم قد جعل له شرب معلوم.

قيل: معناه: لا تؤخروا الغداء، فكانوا إذا أخروه فسد.

وقيل: معناه: لا تخالطوا المفسدين

وقيل: معناه: لا تتمادوا في فسادكم.

وقيل: معناه: لا تطغوا.

قال أبو حيان: وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض.

والأولى عندي إبقاء اللفظ على عمومه وإطلاقه ليشمل كل فساد مادي أو معنوي، واقع أو متوقع.

ومن ذلك ما جاء على لسان قوم قارون في نصيحتهم له: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) (القصص:٧٧).

ولما جاء الإسلام أكد النهي عن الفساد في الأرض بأساليب شتى.

منها النهي عن الإفساد، كما في قوله تعالى: (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا) (الأعراف: ٥٦).

ومنها: التنفير من النماذج المفسدة، والتحذير منها ومن مشابهتها، كما في قوله تعالى في وصف بعض المنافقين: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام(٢٠٤) وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد (٢٠٥) وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد(٢٠٦) (البقرة:٢٠٤-٢٠٦).

ومثل ذلك قوله في ذم اليهود: (ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) (المائدة: ٦٤).

وقوله في ذم المنافقين: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون(١٣) (البقرة: ١١-١٢)

ومنها: إعلان أن الله تبارك وتعالى(لا يحب الفساد) و(لا يحب المفسدين) كما في الآيات السابقة. وأنه لا يصلح عمل المفسدين كما جاء في قصة موسى (قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين) (يونس: ٨١).

والإفساد في الأرض: يشمل الإفساد المادي، بتخريب العامر ، وإماتة الأحياء ، وتلويث الطاهرات، وتبديد الطاقات ، واستنزاف الموارد في غير حاجة ولا مصلحة، وتعطيل المنافع وأدواتها.

كما تشمل الإفساد المعنوي، كمعصية الله تعالى، ومخالفة أمره، والكفر بنعمته، والتمرد على شريعته، والاعتداء على حرماته، وإشاعة الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وترويج الرذائل، ومحاربة الفضائل، وتقديم الأشرار، وتأخير الأخيار، وتجبر الأقوياء على الضعفاء، وقسوة الأغنياء على الفقراء.

ومن ذلك: ما كان عليه قوم لوط، الذين شذوا عن الفطرة، وحادوا عن سواء السبيل، وأتوا فاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين، حيث أتوا الذكران من العالمين، وتركوا ما خلق لهم ربهم من أزواجهم، وارتكبوا هذا الإثم، حتى لم يسلم منهم ضيف ينزل عليهم.

فلا غرو أن دعا عليهم نبيهم لوط في مرارة وحرقة، إذ (قال رب نصرني على القوم المفسدين) (العنكبوت:٣٠).

وأي فساد أشد من هذا الفساد الخلقي، وقد نصره الله عليهم، فأنزل عليهم نقمته، وجعل عالي قريتهم سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود (مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد) (هود: ٨٣).

إحياء الموت:

ومما جاءت به شريعة الإسلام من عمارة الأرض: (إحياء الموات)

والموات: هي الأرض الدارسة الخراب، كما قال ابن قدامة في (المغني).

وعرفها الأزهري في (الصحاح) بأنها الأرض التي ليس لها مالك، ولا ماء، ولا عمارة، ولا ينتفع بها.

و(إحياء الموات) تعبير إسلامي مأخوذ من الحديث النبوي: " من أحيا أرضا ميتة فهي له" رواه أبو داود في سننه.

والأرض الميتة هي الأرض البور، التي لا زراعة فيها ولا بناء، سماها الرسول صلى الله عليه وسلم(ميتة) الأرض إنما يكون بتركها بوارا لا ينبت فيها نبات، ولا يغرس فيها شجر، ولا يقوم فيها بناء ولا عمران، و(حياة) الأرض بإجراء الماء فيها، وإنبات الزرع، وغرس الشجر، وإقامة أسباب السكن والمعيشة.

وقد اقتبس النبي صلى الله عليه وسلم معنى الموت والحياة للأرض من القرآن الكريم، في أكثر من آية. كما في قوله تعالى: (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) (يس: ٣٣) وقوله عن المطر(وأحيينا به بلدة ميتا) (ق: ١١) (إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير) (فصلت: ٣٩).

ولا شك أن من أعظم الموارد التي عني الإسلام بالمحافظة عليها، وعمل على تنميتها، والاستفادة من خيراتها: الأرض الزراعية التي هي مصدر القوت والطعام للإنسان، كما قال تعالى: (فلينظر الإنسان إلى طعامه(٢٤) أنا صببنا الماء صبا (٢٥) ثم شققنا الأرض شقا (٢٦) فأنبتنا فيها حبا(٢٧) وعنبا وقضبا (٢٨) وزيتونا ونخلا (٢٩) وحدائق غلبا (٣٠) وفاكهة وأبا(٣١) متاعا لكم ولأنعامكم (٣٢) (عبس:٢٤-٣٢)

وقد مر بنا أن هذا يعد من أفضل الأعمال التي حث عليها الإسلام، ورغب فيها ، ووعد فاعلها بأعظم المثوبة: استصلاح الأراضي البور، لما فيه من توسيع الرقعة الزراعية وزيادة مصادر الإنتاج، وقد

عرف هذا الأمر في الفقه الإسلامي بعنوان معبر جميل هو: "إحياء الموات"، أو إحياء الأرض الميتة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحيا أرضا ميتة فهي له، وما أكلت العافية(طلاب الرزق) منها فهي له صدقة". قال أبو عبيد: العافية: من السباع والطير والناس وكل شيء يعتافه.

وفي الحديث الذي ذكرناه نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قرر (ملكية الأرض) لمن أحياها، تشجيعا على الإحياء ، وتحريضا عليه. ولا ريب أن حب التملك دافع فطري قوي في نفس الإنسان، فإذا وجد أن كل ما يحييه ويعمره من الأرض يملكه، دفعه ذلك إلى تحريك الهمة ، وتقوية النشاط في توسيع دائرة الإحياء والعمران للأرض، حتى تدخل في ملكه.

وإحياء الموات يكون: بالغرس والزرع، وذلك لا يكون إلا بإجراء الماء إليها من نهر أو بحيرة أو عين، أو حفر بئر بها أو نحو ذلك، إذ لا يحيا الغرس والزرع إلا بالماء، كما قال تعالى: (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) (الحج:٥)

ويكون الإحياء كذلك: بالبناء عليها، وإقامة مساكن فيها للناس، فالأرض الموات، كما تحيا بالنبات والغرس، تحيا بالبناء والمسكن، ولهذا نرى الناس في عصرنا يتجهون إلى الصحارى ليقيموا فيها المباني، فيستفيدوا منها أمرين:

١ إحياء الصحراء بالبيوت والمساكن، فتدب فيها الحياة من كل جانب.

٢ وتوفير الأرض الزراعية التي يقتات منها الناس، وقد أضحت المباني تجور عليها من كل جانب، حتى تكاد تأكلها. فمن أين يأكل الناس بعدئذ؟

ويكون الإحياء كذلك بإقامة المصانع في الأرض، فالمصانع كالمزارع، مطلوبة لحياة الناس، وقد قال تعالى: (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) (الحديد: ٢٥) وقوله: (فيه بأس شديد) إشارة إلى الصناعات الحربية، وقوله (ومنافع للناس) إشارة إلى الصناعات المدنية.

ويجب أن تكون هذه المصانع بعيدة عن المناطق السكنية حتى لا تؤذي الناس بما قد يترتب عليها من أدخنة أو من روائح يكرهها الناس أو من ضجيج وضوضاء نتيجة تشغيل الآلات الكبيرة، وهو ملوث آخر من ملوثات البيئة، وقد قرر الإسلام: أن "لا ضرر ولا ضرار".

وكان من سياسة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين: الإقطاع من هذه الأراضي البور لبعض الرجال الذين أدوا خدمات ممتازة للدولة الإسلامية ، فهي مكافأة لهم من جهة ، وتشجيع على استصلاحها وعمرانها من جهة أخرى.

وما قرب من العامر وتعلق بمصالحه، مثل طرفه وفينائه، ومسيل مائه، ومرعى أنعامه، ومحتطبه، وحريمه، ونحو ذلك من كل ما يحتاج إليه (العامر) ويعنون بالعامر: المدينة أو القرية، لعمل مدارس أو جامعات أو مصانع أو مستشفيات أو أندية أو مساحات خضراء، فلا يملك ذلك بالإحياء، لأنه لا يعتبر مواتا في هذه الحالة، لأنه لتعلقه بمصالح البلد العامر الحي، يعتبر في حكم الحي بسببه، فلا يدخل في الحديث الشريف: "من أحيا أرضا مواتا فهي له " لأنها ليست ميتة. فإن ما جاور الشيء يأخذ حكمه.

بل ذهب بعض الفقهاء إلى أن القريب من العامر لا يمل بالإحياء ، وإن لم يتعلق به مصالحه في الحال، إذ هو بصدد أن يحتاج إليه في المستقبل لقربه، وتنزيلا للضرر في المآل منزلة الضرر في الحال، إذ هو بصدد أن يحتاج إليه في المآل. وهذا هو الذي يجب نرجحه في عصرنا، لسرعة تطور العمران، واتساع حاجات المستقبل، التي قد لا نتوقعها اليوم.

ومن تحجر مواتا، أي شرع في إحيائه ولم يتمه –مثل أن يحيط حول الأرض ترابا، أو بجدار صغير، أو بحفر بئر ولم يصل ماؤها- لم يملكه بذلك، لأن الملك يكون بالإحياء، ولم يتحقق. وهو أحمق به من غيره ووارثه بعده، ومن ينقله إليه بالهبة، وليس له بيعه.

فإن لم يتم إحياؤه، قيل له: إما أن تحييه وإما أن تتركه ليحييه غيرك، لأنه ضيق على الناس في حق مشترك بينهم، فلم يمكن منه. فإن طلب الإمهال أمهل الشهرين والثلاثة.

ومن قطع له من هذه الأرض مساحة معينة، ثم تركها بغير أن يعمرها ويصلحها، كان لولي الأمر أن ينتزعها منه، ويعطيها لغيره ممن يقوم بإحيائها.

وقد روى أبو عبيد وغيره عن بلال بن الحارث المزني: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعه العقيق- أرضا بالمدينة- فلما كان زمان عمر، قال لبلال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحتجزه عن الناس، وإنما أقطعك لتعمل، فخذ منها ما قدرت على عمارته، ورد الباقي".

وعن عبدالله بن عمر قال: كان عمر بن الخطاب يخطب على هذا المنبر يقول: "ياأيها الناس؛ من أحيا أرضا ميتة فهي له"، وذلك أن رجالا كانوا يحتجزون من الأرض ما لا يعمرون.

وكان من سنة عمر تشجيع الأفراد العاملين على زيادة الإنتاج كنافع أبي عبد الله الذي كتب إلى واليه بالبصرة في شأنه يقول:"أما بعد، فإن أبا عبد الله ذكر أنه زرع بالبصرة.. وافتلى أولاد الخيل (رعاها بالفلاة) حين لم يفتلها أحد من أهل البصرة، وإنه نعم ما رأى ، فأعنه على زرعه وعلى خيله، فإني قد أذنت له أن يزرع، وآته أرضه التي زرع... ولا تعرض له إلا بخير...".

وجمهور الفقهاء لا يشترطون إذن الإمام أو ولي الأمر فيما يحييه من الأرض، ويعتبرون أن الحديث أعطى إذنا عاما بالإحياء والتملك لمن أحيا.

وذهب أبو حنيفة إلى أن الإحياء الذي به تتحقق الملكية هو الذي يكون بإذن الإمام ، وأن الرسول حينما قال " من أحيا أرضا ميتة فهي له" قاله بوصفه إماما للأمة، ورئيسا للدولة.

٣ - النظافة والتطهير

ومن الوسائل التي حرص عليها الإسلام في حفظ البيئة: العناية بالنظافة، والحقيقة أن موقف الإسلام من النظافة موقف لا نظير له في أي دين من الأديان، فالنظافة فيه عبادة وقربة، بل فريضة من فرائضه.

إن كتب الشريعة في الإسلام تبدأ أول ما تبدأ بباب عنوانه "الطهارة" أي النظافة، فهذا أول ما يدرسه المسلم والمسلمة من فقه الإسلام.

وما ذلك إلا أن الطهارة هي مفتاح العبادة اليومية " الصلاة" كما أن الصلاة مفتاح الجنة، فلا تصح صلاة المسلم ما لم يتطهر من الحدث الأصغر بالوضوء ومن الحدث الأكبر بالغسل، والوضوء يتكرر في اليوم عدة مرات، تغسل فيه الأعضاء التي تتعرض للاتساخ والعرق والأتربة، مثل الوجه ومنه الفم والأنف واليدين والرجلين والرأس والأذنين، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا) (المائدة: ٦) وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يقبل الله صلاة بغير طهور".

ومن شرط صحة الصلاة كذلك: نظافة الثوب والبدن والمكان من الأخباث والقاذورات، قال تعالى: (وثيابك فطهر) (المدثر: ٤) ومن ذلك: نظافة مخرج البول والبراز بالاستنجاء والغسل بالماء، إن تيسر ، وإلا فبالمسح ولو بالأحجار ونحوها في الصحراء (الاستجمار).

وفوق ذلك أشاد القرآن والسنة بالنظافة وأهلها، فقال تعالى: (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) (البقرة: ٢٢٢) وأثنى على أهل مسجد قباء. فقال : (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) (التوبة: ١٠٨)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الطهور شطر الإيمان" أي نصفه، وهو حديث صحيح.

ومن ذلك شاعت بين المسلمين هذه الحكمة التي ينطق بها خاصتهم وعامتهم ولا يعرف لها مثيل عند غيرهم: وهي"النظافة من الإيمان".

وقد عني النبي صلى الله عليه وسلم بنظافة الإنسان، فدعا إلى الاغتسال، وخاصة يوم الجمعة: "غسل الجمعة واجب على كل محتلم" أي بالغ" حق على كل مسلم في كل سبعة أيام يغسل فيه رأسه وجسده".

وعني بنظافة الفم والأسنان خاصة ، فرغب في السواك أعظم الترغيب "السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب" بجوار الأمر بالمضمضة والاستنشاق في الوضوء؛ حتى اعتبر هما المذهب الحنبلي من فرائض الوضوء.

وأمر بنظافة الشعر"من كان له شعر فليكرمه".

وبإزالة الفضلات من الإبط والعانة وتقليم الأظافر، واعتبر ذلك من سنن الفطرة.

وعني بنظافة البيت وساحاته وأفنيته قال: "إن الله جميل يحب الجمال، طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، فنظفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود"

وعني بنظافة الطريق، وتوعد كل من ألقى فيه أذى أو قذرا: "من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وستون - أو سبعون- شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلا الله".

"أماط" الشيء عن الطريق: نحاه وأزاله، والمراد بالأذى: كل ما يؤذي المار كالحجر والشوكة والعظم والنجاسة والقذر ونحو ذلك.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها ، فوجدت محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تدفن"

وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله إني لا أدري نفسي تمضي أو أبقي بعدك؛ فزدني شيئا ينفعني الله به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "افعل كذا، افعل كذا، وأمر الأذى عن الطريق".

وفي رواية قال أبو برزة : قلت : يا نبي الله ، علمني شيئا أنتفع به ، قال :"اعزل الأذى عن طريق المسلمين".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "على كل ميسم من الإنسان صلاة كل يوم" فقال رجل من القوم: هذا من أشد ما أنبأتنا به ، قال: "أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صلاة، وحملك على الضعيف صلاة، وإنحاؤك القذر عن الطريق صلاة ، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صلاة" رواه ابن خزيمة في "صحيحه".

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس، قيل: يا رسول الله، من أين لنا صدقة نتصدق بها؟ فقال: "إن أبواب الخير لكثيرة: التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق، وتسمع الأصم ، وتهدي الأعمى، وتدل المستدل على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك". رواه ابن حبان في "صحيحه"؛ والبيهقي مختصرا، وزاد في رواية: "تبسمك في وجه أخيك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن طريق الناس صدقة، وهديك الرجل في أرض الضالة لك صدقة".

وعن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة، قالوا : فمن يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: "النخامة في المسجد تدفنها ، والشيء تنحيه عن الطريق".

ونجد آثار هذه التوجيهات النبوية في حياة جيل الصحابة وأبنائهم وتلاميذهم واضحا للعيان:

فعن المستنير بن أخضر بن معاوية عن أبيه قال: كنت مع معقل بن يسار رضي الله عنه في بعض الطرقات، فمررنا بأذى فأماطه- أو نحاه- عن الطريق، فرأيت مثله، فأخذته فنحيته، فأخذ بيدي وقال: يا ابن أخي، ما حملك على ما صنعت؟ قلت: يا عم، رأيتك صنعت شيئا، فصنعت مثله، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" من أماط الأذى عن طريق المسلمين كتبت له حسنة، ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة". رواه الطبراني في "الكبير"هكذا.

ورواه البخاري في كتاب "الأدب المفرد"، فقال: عن المستنير بن أخضر بن معاوية بن قرة عن جدة.

قال الحافظ المنذري: وهو الصواب.

وعن أبي شيبة الهروي قال: كان معاذ يمشي ، ورجل معه،فرفع حجرا من الطريق، فقال : ما هذا؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من رفع حجرا من الطريق كتبت له حسنة، ومن كانت له حسنة دخل الجنة" رواه الطبراني في "الكبير"وقال الهيثمي: رواته ثقات.

وعن عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله وحمد الله ، وسبح الله ، وهلل الله، وعزل الحجر عن طريق المسلمين، أو شوكة ، أو عظما عن طريق المسلمين، وأمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة، فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح عن النار". قال أبو توبة: وربما قال: "يمشي".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك فأخره، فشكر الله له فغفر له" رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية لمسلم قال : "لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين". وذكر الحافظ المنذري في كتابه (الترغيب والترهيب) أكثر من حديث في الترغيب في تنظيف المساجد وتطهيرها: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل عنها بعد أيام، فقيل له : إنها ماتت، فقال: "فهلا آذنتموني" ؟ ... فأتي قبرها فصلى عليها. رواه البخاري ومسلم، وابن ماجه بإسناد صحيحي واللفظ له ، وابن خزيمة في "صحيحه"، إلا أنه قال: إن امرأة كانت تلقط الخرق والعيدان من المسجد.

فانظر: كيف اهتم الرسول بأمر هذه المرأة والسؤال عنها، والصلاة على قبرها، لما كانت تقوم به من تنظيف المسجد. فالحديث يدل على اهتمام المرأة بالمسجد ونظافته في عصر النبوة. فلا عجب أن سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عنها، حين افتقدها ، ولام أصحابه حين لم يعلموه بموتها، وصلى عليها في قبرها بعد موتها.

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن نتخذ المساجد في ديارنا، وأمرنا إن ننظفها". رواه أحمد، والترمذي وقال: حديث صحيح؟

كما ذكر في الترهيب من البصاق في المسجد:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوما إذ رأى نخامة في قبلة المسجد- فتغيظ على الناس، ثم حكها- قال: وأحسبه قال: فدعا بزعفران، فلطخه به- وقال: "إن الله عز وجل قبل وجه أحدكم إذا صلى فلا يبصق بين يديه". رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود واللفظ له.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تعجبه العراجين أن يمسكها بيده، فدخل المسجد ذات يوم، وفي يده واحد منها، فرأى نخامات في قبلة المسجد فحتهن حتى أنقاهن، ثم أقبل على الناس مغضبا فقال: " أيحب أحدكم أن يستقله رجل فيبصق في وجهه؟

إن أحدكم إذا قام إلى الصلاة فإنما يستقبل ربه، والملك عن يمينه، فلا يبصق بين يديه، ولا عن يمينه" الحديث. رواه ابن خزيمة في "صحيحه".

ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل لهم ، فحرص على إزالة الأذى والقذر بنفسه، حتى يعلمهم العناية بالنظافة عامة، وبالمساجد خاصة، لأنها ملتقى المسلمين، ومظهر حضارتهم ، ووجه دينهم، وعلى الأخص جهة القبلة، لما ترمز إليه من معان كريمة نبه عليها الرسول الكريم.

٤ – المحافظة على الموارد

المحافظة على الموارد: موضوع مهم يبحثه الاقتصاديون، كما يبحثه علماء البيئة. ولا غرو أن تحدثنا عنه في كتابنا "دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي" باعتباره قيمة من القيم الأساسية في الاقتصاد، ولا سيما في مجال الإنتاج. وهنا نتحدث عنه مرة أخرى بوصفه دعامة من الدعائم المهمة في الحفاظ على البيئة وصلاحها ونمائها وبركتها. فإن من الأصول الأخلاقية والتشريعية المهمة هنا.

المحافظة على "الموارد" باعتبارها نعما من الله تعالى على خلقه، فواجبهم أن يقوموا بشكرها ، ومن شكرها المحافظة عليها من التلف أو الخراب أو التلوث أو غير ذلك، مما يعتبر نوعا من الإفساد في الأرض.

والله تعالى يقول: (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) (الأعراف: ٥٦).

وقال تعالى لبني إسرائيل بعد أن فجر لهم في التيه اثنتي عشرة عينا: (كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) (البقرة: ٦٠).

وقال شعيب لقومه : (ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدون في الأرض بعد إصلاحها) (الأعراف: ٨٥).

وقبل ذلك: قال صالح لقومه: (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) الأعراف: ٧٤).

والإفساد في الأرض قد يكون ماديا، بتخريب عامرها، وتلويث طاهرها وإهلاك أحيائها، وإتلاف طيباتها، أو تفويت منفعتها.

وقد يكون معنويا، بإشاعة الظلم، ونشر الباطل ، وتقوية الشر، وتلويث الضمائر، وتضليل العقول.

وكلاهما شر يبغضه الله تعالى، ولا يحب أهله.

لهذا تكرر في القرآن أن الله (لا يحب المفسدين) (المائدة: ٦٤) و(لا يحب الفساد) (البقرة: ٢٠٥).

وذم الله اليهود بقوله: (ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) (المائدة:٦٤).

فما هي تلك الموارد؟ هناك الموارد الطبيعية، وهي هبات الله في الطبيعة التي يمكن أن تتحول إلى ثروة: هي الغلاف الغازي بعناصره المختلفة، وهي الغلاف المائي، وهي الغطاء النباتي الطبيعي في صورة مختلفة. وبمعنى آخر: هي الموارد الزراعية- المناخ والتربة-، وهي الموارد النباتية في صورة الغابات والحشائش، وهي الموارد البحرية سواء أكانت في مناطق الرصيف القاري أو في الأعماق المحيطة ، وهي في النهاية: الموارد التعدينية في صخور الأرض ومعادنها المختلفة، ولعل هناك موارد أخرى لم نستطع تحويلها إلى ثروة حتى الآن، كالموارد الشمسية أو الجاذبية مثلا.

هذا ما يقرره الاقتصاديون ، فإذا تأملنا في القرآن الكريم وجدناه يدفعنا دفعا إلى استغلال هذه الموارد. إنه ينبه عقولنا، ويلفت أنظارنا بقوة إلى هذا الكون المحيط بنا بمائه وهوائه وبحاره وأنهاره، ونباته وحيوانه وجماده، وشمسه وقمره، وليله ونهاره، كل ذلك مسخر لمنفعة الإنسان، تكريما من الله له ونعمة عليه، فعليه أن ينتفع بما سخر الله له إن كان من أهل الفكر والعلم، نقرأ في ذلك قوله تعالى: (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءا فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار(٣٢) وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار(٣٣) وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها) (إبراهيم:٣٢-٣٤)، (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) (لقمان:٢٠)، (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (الجاثية: ١٣).

الثروة الحيوانية:

نبه القرآن على الثروات الطبيعية- في مختلف صورها- في كثير من آياته وسوره.

ففي سورة كسورة النحل تنبيه على الثروة الحيوانية وما ينتج عنها من لحوم وألبان وجلود وأصواف وغيرها، فقال تعالى: (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) (النحل: ٥)، (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) (النحل: ٦٦)، (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنهم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين) (النحل: ٨٠).

الثروة النباتية:

وفي السورة نفسها تنبيه على الثروة النباتية بقوله تعالى: (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون(١٠) ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون(١١) (النحل: ١٠-١١)

وفي صناعة الحلويات وما يتصل بها بقوله تعالى: (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون) (النحل: ٦٧).

ويدخل في الثروة الحيوانية: النحل وما ينتج عنه يقول تعالى : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون (٦٨) ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون(٦٩) (النحل: ٦٨-٦٩).

وفي سورة يس يقول تعالى: (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون(٣٣) وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون(٣٤) ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون(٣٥) (يس: ٣٣-٣٥)

الثروة البحرية:

وفي السورة نفسها (النحل) لفت إلى الثروة البحرية وإمكان استغلالها في صيد الأسماك واللآلئ والانتفاع بها في التجارة المحلية والدولية، وقال تعالى : (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (النحل: ١٤).

الثروة المعدنية:

ومن أبرز ما ورد في القرآن من التنبيه على الثروة المعدنية قوله تعالى: (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) (الحديد: ٢٥) وفي الآية دلالة على أهمية هذا المعدن الخطيرة (الحديث) في حياة البشر في الناحيتين: العسكرية والمدنية.

ومما له مغزى عميق أن تسمى السورة التي ذكرت فيها هذه الآية سورة "الحديد".

كما ذكر القرآن "القطر" في قصة السد العظيم الذي بناه ذو القرنين: (آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا(٩٦) فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا(٩٧) (الكهف: ٩٦-٩٧).

وفي معرض الامتنان على سليمان وما سخر الله له من طاقات كونية، قال تعالى: (وأسلنا له عين القطر) (سبأ: ١٢)

الشمس والقمر:

وأكثر من ذلك كله تصريح القرآن في غير سورة: أنه سخر للإنسان الشمس والقمر، وهذا التسخير يمد حبل الأمل للإنسان، ويشبع من طموحه في السيطرة على الفضاء وتسخيره بأمر الله والانتفاع بالطاقة الشمسية، والوصول إلى القمر بل الشمس وتسخيرهما لمنفعة الإنسان، قال تعالى: (وسخر

لكم الشمس والقمر دائبين) (إبراهيم: ٣٣)، (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (النحل: ١٢).

المحافظة على الثروة الحيوانية:

ومن أهم ما جاء به الإسلام في تنمية البيئة والحفاظ عليها وعلى مواردها: عنايته بالثروة الحيوانية.

وعناية الإسلام بالثروة الحيوانية من جهتين:

الأولى: أنها كائنات حية تحس وتتألم، ولها حاجات وضرورات ومطالب، يجب أن تهيأ لها، ولا يحل التقصير في حقها، لأنها لا تستطيع أن تطالب به، ولا أن تسير مظاهرة تضغط على الإنسان ليرعاها، ولا يمكنها رفع أمرها للقضاء.

لهذا كانت رعايتها ابتغاء وجه الله تعالى، وطلبا لمرضاته ومثوبته، وخشية من عقابه عز وجل، فهو من مراعاة المثل الأخلاقية العليا لذاتها، التي تميزت بها الشريعة الإسلامية.

والجهة الثانية: أنها تمثل ثروة للإنسان، وموردا مهما من موارد البيئة، وخصوصا الحيوانات المستأنسة منها، والدواجن ونحوها، فإضاعتها تعني إضاعة مال الإنسان، وهو منهي عنه.

لهذا جاء التوجيه النبوي الكريم يحذر من إضاعة هذه الحيوانات، أو القسوة عليها، أو العبث بها، إرضاء لنزوات الإنسان وغروره وأنانيته.

تعطيل الثروة الزراعية والحيوانية من عمل الشرك:

ولقد حمل القرآن على نوع من الفساد شاع لدى مشركي العرب، وهو تعطيل بعض الموارد الزراعية والحيوانية، بناء على أوهام وأباطيل شركية، ما أنزل الله بها من سلطان، وناقشهم مناقشة مفصلة في سورة الأنعام كما في قوله تعالى: (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) (الأنعام: ١٣٨)

وفي سورة يونس خاطبهم بقوله: (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) (يونس:٥٩).

الوعيد على قتل عصفور عبثا:

وأكدت السنة الأمر بالمحافظة على الموارد بأساليب شتى من الترغيب والترهيب.

من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "من قتل عصفورا عبثا، عج إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب، إن فلانا قتلني عبثا، ولم يقتلني منفعة".

"ما من مسلم يقتل عصفور فما فوقها، بغير حقها، إلا يسأله الله عز وجل عنها" قيل: يا رسول الله؛ وما حقها؟ قال: " أن يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها، ويرمي بها".

والحديثان يدلان دلالة قوية على احترام كل ذي روح من الطير والحيوان، ومنع قتله لغير حاجة ولا منفعة معتبرة، كما يرشدان إلى المحافظة على موارد الثروة، وعدم تبديدها باللهو والعبث، أي لغير منفعة اقتصادية.

بالإضافة إلى ما يدل عليه الحديثان من المحافظة على البيئة بكل ما فيها من الكائنات الحية، التي أصبح التقدم التكنولوجي خطرا عليها.

وفي هذا الهدي النبوي تنديد بحملات الصيد أو (القنص) التي يقوم بها كثير من أهل الثراء، الذين يتخذون من الصيد وسيلة للهو، وتزجية أوقات الفراغ، وصيد الغزلان وبعض الطيور في أحيان كثيرة لغير الأكل، بل للعبث والتلهي.

الحفاظ على الحيوانات من العدوى:

ومن التوجيهات النبوية حديث: "لا يوردن ممرض على مصح".

والممرض: صاحب الإبل المريضة بداء الجرب، والمصح: صاحب الإبل الصحيحة السليمة، فعندما تورد الإبل للشرب، يجب على صاحب الإبل المريضة ألا يوردها على الإبل السليمة، فتحتك بها فتعديها،

وهذا توجيه لوقايتها من المرض، فإذا أصيبت، فيجب أن تعالج حفاظا عليها، باعتبارها كائنا حيا من ناحية، وباعتبارها مالا ناميا من ناحية أخرى، ولا يتم هذا الواجب إلا بطبيب بيطري متخصص، فهو مطلوب شرعا.

إياك والحلوب:

ومن روائع ما ورد في السنة في المحافظة على الموارد: قول النبي صلى الله عليه وسلم لمضيفه الأنصاري الذي أراد إكرامه بذبح شاة: "إياك والحلوب".

قاله له حينما أخذ الرجل المدية ومضى ليذبح.

ومعنى الحديث: أنه عليه الصلاة والسلام نهى المضيف أن يعمد إلى شاة ينتفع بدرها ولبنها، لأنها حلوب، فيذبحها، فيخسر درها وحليبها، ويخسرها معه المجتمع، ويغني عنها شاة أخرى غير حلوب.

وربما يقول بعض الناس: وماذا يؤثر ذبح شاة في موارد مجتمع أو أمة؟

والجواب: أن الرسول الكريم يربي الأمة على قيم وأخلاق معينة ينبغي أن يلتزم بها الجميع، ورعاية هذه القيم والأخلاقيات على مستوى الأمة ذو مردود هائل، عند من يتدبرون الأمور.

الانتفاع بجلد الميتة:

وأكثر من ذلك قوة له لأصحابه، وقد رأى شاة ميتة: "لمن هذه الشاة"؟ قالوا : إنها شاة لمولاة ميمونة-أم المؤمنين- قال : "هلا انتفعتم بجلدها"؟ قالوا: إنها ميتة، قال: "إنما حرم أكلها".

فهو ينبههم على الاستفادة بجلد الشاة-فروتها- بأن يدبغ، فيطهر بالدباغ، وينتفع به.

المحافظة على الأجناس الحية من الانقراض:

ومن التعاليم التي جاء بها الإسلام في المحافظة على البيئة ، ما سبق زمانه، حتى إن المرء في عصرنا ليدهش له، وهو المحافظة على أجناس المخلوقات. الحية من الفناء والانقراض، فإن الله تعالى لم يخلقها إلا الحكمة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها.

وقد حكي القرآن عن (أولي الألباب) من أهل الذكر والفكر: أنهم حين تفكروا في خلق السماوات والأرض، قالوا : (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) (آل عمران: ١٩١)

وقد تحدثت يوما مع أحد علماء البيئة المختصين، وذكرت له مدى عناية الإسلام بالبيئة وتحسينها، والمحافظة عليها ، وأوردت بعض مظاهر ذلك وأدلته، فراعه ذلك وأعجبه، وسألني: هل يمكن أن نجد في النصوص الشرعية ما يؤيد فكرة المحافظة على بعض الأنواع من الحيوانات أو الطيور أو غيرها من الانقراض؟

قلت: نعم، نجد ذلك صريحا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يقول في صراحة وجلاء: "لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها الأسود البهيم".

فهذا الحديث النبوي الشريف يشير إلى حقيقة كونية قررها القرآن الكريم، وهي أن الكائنات الحية الأخرى- غير العاقلة- لها كينونتها الاجتماعية الخاصة، التي تميزها عن غيرها، وتربط بعضها ببعض. وبتعبير القرآن: كل منها أمة مثلنا. يقول الله تبارك وتعالى: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء) (الأنعام: ٣٨).

و(المثلية) التي ذكرها القرآن الكريم لا تقتضي المشابهة في كل شيء، فالمشبه لا يقتضي أن يكون كالمشبه به في جميع الوجوه بل في وجه معين يقتضيه المقام، وهو هنا(الأممية) فكل منها أمة لها كيانها واحترامها، وحكمة لله تعالى في خلقها تمييزها عما سواها من الأجناس والأمم الأخرى.

فأمة النمل غير أمة النحل، غير أمة العنكبوت. وأمة الكلاب غير أمة السنانير، غير أمة أبناء آوي.

وما دامت أمة ، فلا ينبغي أن تستأصل، لأن هذا ينافي حكمة الله سبحانه في خلقها، فإن الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا.

ولا غرو أن جاء هذا الحديث النبوي الشريف في شأن الكلاب، برغم تأذي بعض الناس منها، أو من بعض أنواعها على الأقل، فربما خطر ببال بعض الناس أن يجردوا حملة للقضاء عليها، والخلاص

منها، فلا تبقى لها من باقية. فجاء هذا الحديث ينفي هذا الخاطر، ويعارض هذا اللون من التفكير، معللا بهذه العلة التي تعلو على منطق العصر الذي قيل فيه الحديث، لولا أن قائله لا ينطق عن الهوى (إن هو إلا وحي يوحى) (النجم: ٤).

يقول الإمام أبو سليمان الخطابي في شرح الحديث في كتابه (معالم السنن):

"معناه: أنه كره إفناء أمة من الأمم، وإعدام جيل من الخلق، حتى يأتي عليه كله، فلا يبقى منه باقية، لأنه ما من خلق له تعالى إلا وفيه نوع من الحكمة، وضرب من المصلحة. يقول إذا كان الأمر على هذا، ولا سبيل إلى قتلهن كلهن، فاقتلوا شرارهن، وهي السود البهم، وأبقوا ما سواها، لتنتفعوا بها في الحراسة، ويقال: إن السود منها شرارها وعقرها"

ذكرت ملخص هذا الكلام لأستاذ البيئة الذي سألني، فقال: عجيب أن يكون عندنا مثل هذه الكنوز الثمينة، ولا نطلع عليها، ولا نعرفها.

قلت له: إن عندنا من هذه الكنوز الكثير الكثير في كل جانب، ولكن هذه الكنوز الدفينة عادة تحتاج إلى من يفتش عنها في مظانها، ويزيح التراب والأحجار عنها، كما يفعل رجال الآثار في البحث عنها في باطن الأرض، حتى يجدوها مطمورة تحت الثرى، أو بين الأتربة والصخور، ومن جد وجد، ولكل مجتهد نصيب.

يؤكد هذا التوجيه النبوي المستنبط من القرآن الكريم: ما استنبطه بعضهم مما أوحى الله به إلى نبيه نوح عليه السلام قبل مجيء الطوفان: أن يصنع سفينته بأعين الله تعالى ووحيه، وأن يحمل بها من كل زوجين اثنين، كما جاء ذلك في القرآن الكريم في سورة هود وفي سورة (المؤمنون). يقول تعالى في قصة نوح في سورة هود:

(حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل" (هود: ٤٠)

وفي سورة المؤمنون قال تعالى: (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم) (المؤمنون: ٢٧).

قال الحافظ ابن كثير: أمر الله نوحا عليه السلام أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين من المخلوقات ذوات الأرواح (يعني من الحيوانات والطيور والحشرات والزواحف ونحوها من كل ما يعيش في البر) وقيل: وغيرها من النباتات، اثنين ذكرا وأنثى.

والزوج هنا : الواحد المزدوج بآخر من جنسه، فالذكر زوج للأنثى، كما هي زوج له، والاثنان زوجان، كما قال تعالى: (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) (النجم : ٤٥) وكما قال تعالى (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين... ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين) (الأنعام: ١٤٣-١٤٤)

وقد يطلق الزوج على مجموع الذكر والأنثى، وليس بمراد هنا، وإلا لزم أن يحمل من كل صنف أربعة. وليمنع هذا التوهم وصف بقوله(اثنين).

وحاصل المعنى كما قال الآلوسي: احمل ذكرا وأنثى من كل نوع من الحيوانات. قال: وأدرج فيه أناسي البهوام والطير.

وقد سعى بعض علماء الطبيعة هذا الصنيع- من الحفاظ على الأحياء من الانقراض- (مبدأ نوح) أخذا من عمله في السفينة.

ولكن إنما يتم هذا الاستدلال إذا كان نوح قد أمر بذلك للإبقاء على أجناس الأحياء، ولا دليل على ذلك في النص. وخصوصا أن بعض العلماء قد ذهبوا إلى أن الطوفان لم يعم الأرض كلها. وهذا هو المعقول. فأمر نوح بحمل ما يحتاج إليه إذا نجا ومن معه من الغرق، لئلا يغتموا لفقده، ويتكلفوا مشقة جلبه من الأصقاع النائية، التي لم يصلها الطوفان. فكأنه قيل: احمل فيها من كل ما تحتاجون إليه-إذا نجوتم- زوجين اثنين.

فالعمدة في هذه القضية إذن هو الحديث الذي ذكرناه في عدم قتل الكلاب، لأنها أمة من الأمم.

نموذج من عناية الفقه الإسلامي بالحيوان:

ولقد قننت هذه العناية بالحيوان فقهنا الإسلامي بكل مذاهبه، التي وضحت أن لهذه الحيوانات حقوقا يجب أن ترعى وتؤدي.

وأنقل هنا فقرات من كتاب فقهي معتبر عند الحنابلة وهو " شرح غاية المنتهى" قال: "وعلى مالك بهيمة إطعامها ولو عطبت (أي لم يرج منها نفع) وعليه سقيها حتى تنتهي إلى أول شبع وأول ري دون غايتها، لحديث ابن عمر قال: "عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا..." (الحديث).

فإن عجز عن نفقتها أجبر على بيع أو إجارة، أو ذبح مأكول، إزالة لضررها وظلمها، ولأنها تتلف إذا تركت بلا نفقة، وإضاعة المال منهي عنه.

فإن أبى فعل شيء من ذلك فعل الحاكم الأصلح من الثلاثة، أو اقترض عليه، وأنفق عليه، كما لو امتنع من أداء الدين. ويحرم لعنها-أي البهيمة- لما روى أحمد ومسلم عن عمر: أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فلعنت امرأة ناقة فقال: " خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة" فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد.

ولهما من حديث أبي برزة: "لا تصحبنا ناقة عليها لعنة الله"، ولمسلم من حديث أبي الدرداء أنه قال: "لا يكون اللعانون شفعاء يوم القيامة".

يحرم تحميلها-أي البهيمة- مشقا(ما يشق عليها) لأنه تعذيب لها. ويحرم حلبها ما يضر ولدها؛ لأن لبنها مخلوق له أشبه ولد الأمة ، ويسن للحلاب أن يقص أظفاره لئلا يجرح الضرع.

ويحرم ضرب وجه ووسم (أي كي فيه) أي في الوجه لأنه عليه الصلاة والسلام لعن من ضرب أو وسم الوجه ونهى عنه، ذكره في الفروع.. ويكره جز معرفة وناصية، وجز ذنب، وتعليق جرس، أو وتر للخير .. ويكره له إطعامه فوق طاقته، وإكراهه على الأكل، على ما اتخذه الناس عادة لأدل التسمين، قاله في "الغنية".

ويجب على مقتني الكلب المباح أن يطعمه ويسقيه أو يرسله، لأن عدم ذلك تعذيب له.. ولا يحل حبس شيئ من البهائم لتهلك جوعا أو عطشا لأنه تعذيب، ولو غير معصومة لحديث: " إذا قتلتم فأحسنوا لقتلة "انتهى.

وهكذا نجد فقهنا الإسلامي يتعمق في القضية، حتى يدخل في هذه التفصيلات الكثيرة، التي لا تكتفي برعاية الجانب المادي للحيوان، بل بالجانب الأدبي، حتى إنه يحرم لعن البهيمة، كأنما هي كائن يحس ويعقل. وهي ذروة في التعامل لم ترتق إليها أي فلسفة من الفلسفات أو دين من الأديان.

وقد ذكر الفقهاء أن مما يوجب التعزير قطع ذنب الدابة، لما فيه من إيذاء وتشويه لها.

ومن اهتمام المسلمين بالحيوانات: اهتمام علم (الحسبة)- وقد ألف فيه عدد من الكتب في مختلف المذاهب الفقهية- بموضوع الحسبة على البياطرة، ويقصد بهم الأطباء الذين يعالجون الحيوانات، وهي- كما قالوا- أصعب علاجا من أمراض الآدميين، لأن الدواب ليس لها نطق تعبر به عما تجده من المرض والألم، وإنما يستدل على عللها بالحس والنظر، فيحتاج البيطار إلى حسن بصيرة بعلل الدواب يفصد أو قطع أو كي وما أشبه، بغير خبرة، فيؤدي إلى إهلاك الدابة أو عطبها، فيلزمه الضمان من طريق الشرع، ويعزره المحتسب من طريق السياسة.

وذكر العلماء هنا تفاصيل كثيرة مهمة، تدل على مدى عنايتهم بهذا الأمر.

المحافظة على الثروة النباتية:

ومن الموارد المهمة: الثروة النباتية التي يحتاج إليها الإنسان والحيوان في غذائهما، كما قال تعالى: (فلينظر الإنسان إلى طعامه(٢٤) أنا صببنا الماء صبا (٢٥) ثم شققنا الأرض شقا (٢٦) فأنبتنا فيها حبا (٢٧) وعنبا وقضبا (٢٨) وزيتونا ونخلا (٢٩) وحدائق غلبا(٣٠) وفاكهة وأبا(٣١) متاعا لكم ولأنعامكم(٣٢) (عبس ٢٤-٣٢).

فهكذا خلق الله النبات متاعا ومنفعة للآدميين ولأنعامهم التي تخدمهم وهي صحيحة، ويأكلونها وهي ذبيحة، فهي في النهاية متاع لهم في الحقيقة.

وقال تعالى: (الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماءا فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى(٥٣) كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولى النهى(٥٤) (طه: ٥٣-٥٤).

وقال سبحانه معددا آياته في الخلق، ونعمه على الناس: (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون(٣٣) وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون(٣٤) ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون(٣٥) (يس:٣٣-٣٥)

وفي آيات أخرى لفت الأنظار ونبه العقول إلى ما في الزرع من بديع صنع الله الذي أتقن كل شيء، والذي يرى الإنسان فيه الجمال المبهج للأنفس، والذي يسر الناظر بينعه، كما قال تعالى: (وهو الذي أنزل من السماء ماءا فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) (الأنعام: ٩٩)

وقد ذكر علماء النبات المختصون والمتتبعون له ولفصائله وأنواعه وألوانه في شتى بقاع الأرض: أن هناك نحو مائتين وخمسين ألفا من أنواع النبات وألوانه! ولا يسعنا إلا أن نقول: (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) (يس:٣٦).

هذه الثروة النباتية التي توفر للإنسان الثمر الطيب، والظل الظليل، والمنظر الجميل ، ومنافع كثيرة بدأنا ندركها اليوم، إنما هي نعم من الله تبارك وتعالى يجب أن تقابل بالشكر للمنعم جل شأنه، ومن شكره سبحانه عليها أن ننميها ونحافظ عليها، ونقوم بحسن رعايتها، حتى تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وألا نهملها فتضيع وتهلك وتذوي، ولا نقطعها لغير حاجة أو مصلحة معتبرة، بل نزيد مساحتها بالغرس والزرع ما استطعنا، وألا نسرف في استهلاكها بغير حساب، وأن نعاملها بالإحسان والرفق،

كما سنبين ذلك بعد. فإن لم نفعل ذلك، فقد كفرنا نعمة الله تعالى، ومن كفر نعمة الله فإن الله شديد العقاب.

ومما ذكره القرآن عبرة لنا: قصة قوم أضاعوا ثروتهم النباتية الطيبة العظيمة، بسوء ما صنعوا، فقد من الله تعالى عليهم بثروة زراعية هائلة، ولكنهم لم يقوموا بحق شكرها، والمحافظة عليها، فسلبوا هذه النعمة ، جزاء وفاقا.

وهؤلاء هم قوم سبأ باليمن، الذين قص الله علينا قصتهم في سورة سميت باسمهم : سورة سبأ، قال تعالى: (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور(١٥) فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل(١٦) ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور(١٧) (سبأ: ١٥-١٧).

لقد انهار سدهم العظيم الذي أقاموه، فانهارت حياتهم بسببه، وتفرقوا وتمزقوا " شر ممزق" كما قال القرآن، وضرب بهم المثل، فقيل: تفرقوا تفرق أيدي سبأ.

قاطع السدر في النار:

يؤكد هذا الوجه الحديث الشريف: "من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار".

قال أبو داود بعد أن روى هذا الحديث: يعنى من قطع سدرة في فلاة، يستظل بها ابن السبيل والبهائم، عبثا وظلما، بغير حق يكون له فيها، صوب الله رأسه في النار.

وفي هذا الوعيد الشديد توجيه إلى المحافظة على الأشجار، ومنها أشجار البر والغابات، لما فيها من نفع كبير للبيئة، فلا يجوز أن تقطع إلا بقدر وحساب، بحيث يغرس مكانها غيرها، مما يقوم بوظيفتها.

المحافظة على الثروة المائية:

ومن أهم الموارد التي تجب العناية بها، والمحافظة عليها: الماء، أصل الحياة للإنسان والحيوان والنبات، كما قال تعالى: (وجعلنا من الماء كل شيء حي) (الأنبياء: ٣٠).

الماء ثروة غالية نفيسة، ولكن الناس لا يقدرونها حق قدرها، لأن الله تعالى هيأها للناس بالمجان، في الأنهار والبحيرات والأمطار، كما قال تعالى: (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار) (إبراهيم: ٣٢).

وقال تعالى: (والأرض بعد ذلك دحاها(٣٠) أخرج منها ماءها ومرعاها(٣١) والجبال أرساها(٣٢) متاعا لكم ولأنعامكم (٣٣) (النازعات: ٣٠-٣٣)

ومن فضل الله تعالى على عباده أن جعل الأشياء الضرورية للناس أرخص الأشياء، لأنه هيأها للناس بوفرة، مثل الماء والهواء والحرارة والضياء. وهذا ما جعل كثيرا من الناس للأسف لا يحسون بقيمة هذه النعم إلا إذا فقدوها أو حرموا منها ولو جزئيا أو نسبيا، فيدركون حينئذ قدرها وفائدتها، وبضدها تتميز الأشياء.

ولكن مما ينبغي أن يعلم أن الماء خاصة لا يقبل الزيادة والنماء، مثل الثروة النباتية، أو الثروة الحيوانية. كما أشار إلى ذلك القرآن بقوله (وأنزلنا من السماء ماءا بقدر فاسكناه في الأرض) (المؤمنون:١٨).

وإذا كانت الكائنات الحية-وعلى رأسها الإنسان-لا تستطيع أن تعيش بغير الماء، والماء محدود، فالواجب على البشر أن يحافظوا على هذا الكنز النفيس، ولا يسيئوا إليهن بتلويثه أو إفساده أو إضاعته في غير وجهه، أو الإسراف في استهلاكه لغير حادة حقيقية أو مصلحة لها اعتبارها عند العقلاء من الناس.

ولقد نبه علماء البيئة والبيولوجيا وغيرهم على أن الماء من أهم مكونات البيئة، وأن الحاجة إليه عامة، وأن البشرية مقبلة على أزمة في المياه، توشك أن تكون من أسباب الحروب بين الناس بعضهم وبعض، وأن الماء في المستقبل سيكون أهم وأغلى من النفط، وربما ظهرت بوادر ومؤشرات لهذه الأزمة المخوفة نلحظها اليوم.

ونحن إذا أنعمنا النظر في تعاليم الإسلام وأحكامه نجد أنه عني عناية بالغة بالحفاظ على الثروة المائية، وتقدير نعمة الله فيها، وذلك من خلال عدة أحكام وتوجيهات ملزمة للمسلمين، بعضها تلزمهم أخلاقيا، وبعضها تلزمهم قانونيا. منها:

النهي عن تلويث الماء:

من هذه التوجيهات الإسلامية: النهي عن تلويث الماء بأي سبب من أسباب التلويث، مثل البول أو البراز فيه.

اقرأ معي هذه الأحاديث الشريفة:

"اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد (موارد الماء) وقارعة الطريق والظل".رواه أبوداود وابن ماجة والحاكم

"لا يبولن أحدكم في الماء الدائم، (أي الراكد) الذي لا يجري، ثم يغتسل منه". رواه البخاري

"لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه". رواه أحمد والترمذي والنسائي

"لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ولا يغتسل فيه من الجنابة". رواه أبو داود

"لا يبولن أحدكم في مستحمه". رواه أحمد

والتلويث في عصرنا لم يعد مقصورا على البول والبراز ونحوها من الحاجات البشرية التي يفعلها الدهماء من الناس، بل غدت هناك أنواع أشد خطرا، وأبعد أثرا، وأوسع نطاقا، من هذا كله، وهي التلويث بمختلفات الصناعة، والمواد الكيماوية، ومنها مواد سامة وقاتلة، ومخلفات النفط والبواخر التي تغرق في البحار ويسيل ما فيها، فتلوث المياه، وآثار الحروب وما تتركه من المواد المشعة، التي تكون خطرا على الأسماك والأحياء المائية، وبالتالي تصبح خطرا على الإنسان نفسه حين يأكلها.

خطر الإسراف في الماء:

وهناك خطر آخر يتجسد في سوء استهلاك الماء، والإسراف في استخدامه، واعتباره مادة رخيصة الثمن، مع ماله من قيمة لا يعرفها إلا أولو الألباب من البشر.

ولقد روى ابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال له: لا تسرف. فقال: أو في الماء إسراف؟ قال : نعم ، وإن كنت على نهر جار.

ظن سعد بحكم نشأته ومقتضى ثقافته الموروثة: أن الإسراف إنما يكون في المال والنفقة فيه، أما أن يكون في الماء، فلم يكن يتصور ذلك، فقال ما قال مستغربا ومستعلما، فكان جواب الرسول معلما ومصححا: "نعم وإن كنت على نهر جار" ومعنى هذا : أن الاقتصاد يجب أن يكون خلقا للمسلم، لا تدفعه إليه حاجة ولا ضيق يد، بل يجب أن يتجنب الإسراف، ولو كان على نهر جار.

وروى أبو داود عن عبد اللهب مغفل قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنه سيكون قوم من أمتي يعتدون في الطهور والدعاء".

وقد روى أبو داود هذا الحديث في كتاب الطهارة في (باب الإسراف في الماء).

ومعنى الاعتداء في الطهور (أي الطهارة). تجاوز الحد المعقول في استعمال الماء، والخروج من الاعتدال إلى الإسراف المحظور.

ومن المعروف شرعا: أن استعمال الماء للشرب مقدم على استعماله للطهارة والوضوء. ومما يشير إلى ذلك ما رواه أبو هريرة أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : يا رسول الله؛ إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هو الطهور ماؤه الحل ميتته".

يفيد سؤالهم أن إرواء العطش مقدم على الوضوء. وهو ما قرره الفقهاء في أن خوف العطش يبيح للمسلم أن يتيمم مع وجود الماء المحتاج إليه الشرب. كما أجاز ابن قدامة في (المقنع) التيمم لعطش يخافه على نفسه أو على رفيقه في السفر أو بهيمة

قال في (الشرح الكبير): وإن خاف على رفيقه أو بهائمه، فهو كما لو خاف على نفسه... فجاز له التيمم كالمريض.

وإن وجد عطشانا يخاف تلفه، لزمه سقيه ويتيمم. قيل لأحمد: رجل معه إدارة من ماء الوضوء، فيرى قوما عطشانا: أحب إليك أن يسقيهم أو يتوضأ؟ قال : لا، بل يسقيهم. ثم ذكر عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيممون، ويحبسون الماء لشفاههم.

وقال أبو بكر والقاضي (من الحنابلة): لا يلزمه ذلك، لأنه محتاج إليه.

ورده في الشرح الكبير قائلا: ولنا: أن حرمة الآدمي تقدم على الصلاة. بدليل ما لو رأى حريقا أو غريقا عند ضيق الصلاة، لزمه ترك الصلاة، والخروج لإنقاذه، فلأن يقدمها على الطهارة بالماء أولى. وقد روي في حديث البغي أن الله غفر لها بسقي الكلب عند العطش، فإذا كان هذا قد حصل في سقي الكلب، فالآدمي أولى.

******

التدريبات

أجب في كلمة/ أكمل الآتية

١. البيئة تشمل على .....
٢. ..... الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار
٣. ولكم في الأرض مستقر و.....
٤. ثم شققنا الأرض.....
٥. مانع الزكاة يوم القيامة في .....
٦. ..... ليس له من صيامه إلا الجوع
٧. وإن تعدوا نعمة الله لا .....
٨. إنا زينا السماء الدنيا ب .....
٩. وإذا قيل لهم ..... في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون
١٠. ..... أرضا مواتا فهي له
١١. لا يقبل الله ..... بغير طهور
١٢. النظافة من .....
١٣. غسل الجمعة ..... على كل محتلم
١٤. ..... مطهرة للفم، مرضاة للرب
١٥. من كان له شعر ف.....
١٦. ولا ..... في الأرض بعد إصلاحها
١٧. خذوا ما عليها ودعوها فإنها .....
١٨. من قطع سدرة صوب الله ..... في النار
١٩. لا ..... أحدكم في الماء الدائم
٢٠. هو الطهور ماؤه ..... ميتته

اكتب مذكرة عن الآتية

١. البيئة
٢. التأصيل الشرعي لرعاية البيئة
٣. دور الإنسان في البيئة
٤. الود والحب للبيئة
٥. الاستمتاع بالجمال في الكون

٦. العمارة والتثمير
٧. النظافة والتطهير
٨. المحافظة على الموارد
٩. النهي عن تلويث الماء

اكتب مقالة عن الآتية

١. مكونات البيئة
٢. الركائز الإسلامية لرعاية البيئة